166

الأبحاث والدراسات

صفحات تاريخية وحضارية مختصرة عن جُرش (عسير) وبلجرشي غامد، والعلاقة بينهما (دراسة وتأمل) (*)

أ. عبد الله بن علي بن سعيد المغرم الغامدي

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السادس عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٤١٩- ٤٩١ . (الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٤١٨ – ٤٩٠ .

جنوب المملكة العربية السعودية، أو في أي جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربية[١] .

ثانياً: صفحات تاريخية وحضارية مختصرة عن جرش (عسير)، وبلجرشي غامد، والعلاقة بينهما (دراسة وتأمل) . بقلم. أ.عبدالله بن علي بن سعيد المغرم الغامدي [٢] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تقديم	٤١٩
ثانياً:	وقفة مع جُرش (عسير)	٤٢٠
ثالثاً:	وقفات مع بدايات بلجرشي (غامد) وصلتها بجُرش (عسير)	٤٣١
رابعاً	بعض النظريات الاجتماعية وموافقتها لصفحات من تاريخ بلجرشي الحضاري	٤٤٤
خامساً:	صفحات من تاريخ بلاد غامد الحديث	٤٥٨
سادساً:	صور تاريخية حضارية من بلجرشي وما حولها قبل عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)	٤٧٢
سابعاً:	خلاصة القول	٤٩١

أولاً: تقديم:

هذه الدراسة لأحد الباحثين المجتهدين الذي يسعى إلى رصد شيء من تاريخ وحضارة بلدته بلجرشي في سروات غامد. ووجهة نظره أن سكان بلجرشي في العصر الحديث هاجروا من مدينة جُرش القديمة الواقعة في سروات عسير . ويجب علينا أن

(١) أقول إن المملكة العربية السعودية تعيش حقبة حضارية حديثة كبيرة . والواجب على الجامعات ومراكز البحوث العلمية أن توثق تاريخ هذه الفترة من جوانب سلبية وإيجابية وبخاصة في ميادين التطور والتنمية المعنوية والمادية . وما نسعى إلى توثيقه ليس إلا إسهامات محدودة جداً، ونأمل أن تلفت نظر المؤرخين والباحثين المخلصين في أنحاء البلاد حتى يسعوا إلى حفظ وتوثيق بعض الشيء عن بلادهم ومواطنهم الرئيسية . (ابن جريس)،

(٢) الأستاذ عبدالله بن علي بن سعيد المغرم، من مواليد مدينة جدة عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، حصل على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع من كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز في (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، وعمل في العديد من الإدارات الحكومية، مثل: الأحوال المدنية، ثم التربية والتعليم، وحصل على تقاعده مبكراً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . شارك في العديد من الأنشطة التعليمية والثقافية والاجتماعية، وحصل على بعض الدبلومات والدراسات في مجال عمله، لديه بعض الكتب والبحوث العلمية، مثل: (١) محافظة بلجرشي في الماضي والحاضر. (٢) رحلة من جدة إلى دمشق عبر طريق الحاج الساحلي، ثم العودة عبر الطريق الداخلي . (٣) أسرة الجعابرة : نبذة مختصرة عن علمائها . (٤) الحكمة والحكماء عند العرب والعجم . (٥) الشعوب المهمشة وأسباب انحطاطها. (٦) غرائب مما قرأت وسمعت وشاهدت . (٧) الصياد (رواية) . (٨) الكنز الذي لا يفنى (رواية قصيرة). (ابن جريس) .

نحترم رأي هذا الكاتب حتى وإن اختلفنا معه، ومن يدرس أقواله فقد يجد بعضها تستحق القراءة والتأمل، وربما تكون خاطئة أو صحيحة، والواجب على من يستطيع أن ينقضها او يؤيدها ألا يبخل علينا ويدلي بدلوه مع دعم أقواله بحجج وبراهين علمية . كما يوجد في البحث معلومات تاريخية وحضارية قيمة عن وطن بلجرشي وهو يستحق الدراسة، بل إن الكثير من أطروحات الباحث مازالت بحاجة إلى توضيح وتفصيلات أكثر، وقد يأتي بعده من يدرسها ويوثقها في بحوث علمية أطول وأعمق.

ثانياً: وقفة مع جُرش (عسير):

افترض البعض أن جزءاً من سكان بلجرشي قدموا من جرش المندثرة بعد تدمير بلدتهم " ما بين القرن الخامس والقرن السابع الهجريين "، ورغم أن الشيخ حمد الجاسر، أعاد بني الجرشي إلى قبيلة غامد[١]. إلا أنه أشار إلى أن هذا الأمر كان تحالفاً ومجاورة وليس نسباً وهم في الأصل ينسبون إلى رجل قدم من جُرش[٢]. والشيخ إبراهيم الحسيل، أيده بالقول : (ليس في نسب غامد "بلجرشي" ولعل بلجرشي نسبة إلى جُرش، وسكان جرش سابقاً من قبائل حمير من العرب العاربة، وأضاف أن أصل بلجرشي يعود إلى نزوح بعض أهل مدينة جرش قرب خميس مشيط بعد أن دمرها صقر بن حسان عام (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) [٣]. وكذلك قال بهذا محقق كتاب الدر الثمين (صفحة ١٤) من أن بلجرشي نسبت إلى رجل يدعى عبدالله بن الأحمر الجرشي، وله ذرية بها يطلق عليهم بني الجرشي. وما تواتر بين معظم أبناء بني ناشر الذين يكونون نصف سكان بلجرشي تقريباً من أنهم يعودون بنسبه إلى بني عمر والبعض من أدبائهم كأحمد قشاش، قال إن بني عمر هم بني شكر الذين سكنوا المنطقة قبل ظهور الدين الإسلامي .

وجرش اسم تشترك فيه مدينتان مندثرتان وكل منهما تجاورها مدينة يقال لها نجران . إحداهما جَرَش " بفتح الجيم " وتقع في الشام وتحديداً بالأردن وبجوارها نجران، ذكرها ياقوت، في معجمه فقال : (نجران أيضاً موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على العمد الرخام منمقة ينسب إليها يزيد بن عبدالله بن أبي يزيد النجراني يكنى أبا عبدالله من أهل دمشق من نجران التي

(١) الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ص ٨٠ .
(٢) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤١ .
(٣) عثمان، أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٨ نقل عن الشيخ الحسيل قوله : " دمرها صقر بن حسان، ولم أجد هذا النص في كتاب الحسيل، ويبدو أنه سمعها منه، وهذا الكلام منقول من كتاب (إمتاع السامر) .

بحوران)[١]. والأخرى جُرش "بضم الجيم" وهي المقصودة في مبحثنا هذا، وتقع بمنطقة عسير بالمملكة العربية السعودية بالقرب من طريق الحج اليمني القديم المسمى (درب البخور) . وجنوب مدينة خميس مشيط بحوالي (١٧) كيلا، وترتفع عن سطح البحر الأحمر حوالي (١٩٥٢متر) [٢]. ونجران المدينة السعودية المعروفة لا تبعد عنها كثيرا.

ويذكر المؤرخون أن جُرش كانت لجرهم ثم سكنتها قبيلة حمير، ثم ورد عليها أفناء من الناس كما في "صبح الأعشى": (وأما نجران وجرش فإنهما كانا بيد جرهم من القحطانية ثم غلبهم على ذلك بنو حمير وصاروا ولاة للتبابعة فكان كل من ملك منهم يسمى أفعى) [٣]. وأما سبب تسميتها فاتفق ياقوت الحموي مع أغلب المؤرخين في قوله: (جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة وذكر بعض أهل السير أن تبعاً أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً وقال أجرشوا هنا أي البثوا فسميت جرش، وقال أبو المنذر : هشام جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم، وجرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن وليدعون على لحمه فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشياً) [٤]. ومما يدل على أهميتها قبل الإسلام وتوافد العرب عليها كما هو حال مكة وغيرها من البلدان التي يحج إليها الناس قديماً. وجود صنم (يغوث) بها الذي ورد ذكره في قوله تعالى: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا]سورة نوح [الآيتان ٢٣، ٢٤] .

واختلف البعض في إسلام أهل جُرش وهل فتحت حرباً أم صلحاً، فذكر ياقوت أنها فتحت صلحاً كما جاء في معجمه : (فتحت جرش في حياة النبي ﷺ في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر) [٥]. وكنت أظن أن قول ياقوت يخص جرش "بالفتح" التي في الشام، لكن ورد قول مؤيد لقول ياقوت في"

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٧٠ .
(٢) الصوبان، سعد عبدالله وآخرون، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ١٦٢ .
(٣) الفزاري، القلقشندي، أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ج٥، ص ٤٣ .
(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .
(٥) الحموي، ياقوت معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .

فتوح البلدان " : (أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين وولي أبا سفيان بن حرب جُرش) [١]. وتبالة ليست بعيدة عن جُرش . وكلاهما موضعان يقعان حالياً في جنوب المملكة العربية السعودية، وفي روايات أخرى شائعة قيل إنها فتحت قسراً[٢] ،وقال ابن كثير: (قدم صرد بن عبدالله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد فأسلم وحسن إسلامه، وأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فذهب فحاصر جُرش وبها قبائل من اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم حين سمعوا بمسيره إليهم، فأقام عليهم قريباً من شهر، فامتنعوا فيها منه، ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريباً من جبل يقال له شكر، فظنوا أنه قد ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً) [٣]. وبعد إسلامهم كتب لهم الرسول حمى، كما في السيرة النبوية : (خرج وفد جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت) [٤]. وورد مثله في " الفائق"[٥].

وإذا تأملنا في تاريخ جُرش كونها مركزاً تجارياً كبيراً ونقطة اتصال لحواضر كبرى، وما خلفته من آثار شاهدة على عظمتها . نستنتج أنها طبقت نظرية تقسيم العمل بأسلوب تلقائي طبيعي جعلها تتبوأ مكانة مرموقة في العهود القديمة[٦]، تعددت بها المهن، وكثرت المصانع وازدهرت التجارة، وفاضت الأموال. ولعل وصف أحد شعراء الأزدي يفيدنا بحال هذه البلدة الرائدة . حين غزوا جُرش بقيادة عبدالله بن صرد[٧].

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً في مصانعها ... وجمع خثعم قد ساغت لها النذر

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٧٠ .
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ١٢٥٨، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٤٧٥، الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى . ج١، ص ٣٣٨،٣٣٧، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص ٤٢١، الشيباني، علي، الكامل في التاريخ . ج٢ ص ١٦٣ .
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٨٦ .
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥ ص ٢٨٦ .
(٥) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١، ص ١٧٩ .
(٦) الطبري، تاريخ الطبري . ج ٢، ص ١٩٧ .
(٧) المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٢٦، وكذا في أساس البلاغة، ج١، ص ٣٦٣، وفي تاج العروس، ج٢١، ص ٣٧٣ .

إذا وضعت غليلاً كنت أحمله فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

وعندما قال الشاعر " حتى أتينا حميراً في مصانعها " فإن العرب كانت تسمي القصور والآبار مصانع كما في " المعجم الوسيط " " (المصنع الموضع تمارس فيه صناعة أو صناعات مختلفة، وشبه الحوض يجمع فيه ماء المطر ونحوه مصانع، والمصانع المباني من القصور والحصون والقرى والآبار وغيرها من الأمكنة العظيمة وفي التنزيل العزيز: [وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ][1]. والشاعر هنا قصد منشآتها، ولكن عُرف عن جرش أنها كانت بلدة صناعية حيث كانت مركزاً لصناعة الأدوات الحربية كالعرادات والمجانيق والضبور، قال ذلك ابن كثير [2]. والطبري : (لم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجُرش يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق) [3]. والبعض من المؤرخين يظن أنهما كانا في جرش التي بالشام . ولكن الحقيقة أنه بعد غزوة حنين التي وقعت بين أهل الطائف وجيش المسلمين، مر عروة بن مسعود الثقفي بقومه في الطائف قادماً من جهة الجنوب، وعندما علم بنتائج المعركة اتجه إلى المدينة لمبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام . واشتهرت جُرش أيضاً بإتقان صناعة الأدم أي الجلد المدبوغ . وكان لمنتجاتها شهرة في بغداد والعواصم الإسلامية الكبرى، حتى ارتبط مسمى جُرش بأدمها، بل إن تجار البصرة كانوا يفدون إليها لشراء منتجاتها الجلدية، ونقلها إلى كافة حواضر الجزيرة العربية [4]. وورد في لسان العرب : (جُرش موضع باليمن، ومنه أديم جُرشي) [5]. وفي " نزهة المشتاق " : (مدينة جُرش.. وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة) [6]، وفي موضع آخر من "نزهة المشتاق" : (جُرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير وبهما مدابغ للجلود وهي بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك) [7]. وتحدث الدكتور غيثان بن جريس . في كتابه : "دراسات في تاريخ تهامة والسراة " عن دباغة الجلود في جرش، قال: (وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وما حولها، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي، ومواد

(١) سورة الشعراء، آية ١٢٨ .
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ١٧٧ .
(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ١٢٤٠ .
(٤) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١ ص ٢٠٧ نقلا عن " ابن المجاور" .
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٢٧٢ .
(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٥١ .
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٦ .

التصنيع، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرض الذي يعتبر من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة)[١].

كما اشتهرت بنبيذها ورد ذلك في "تاريخ دمشق" قال: ابن أبي الهذيل ما في نفسي من نبيذ الجرشي إلا أن عمر بن عبدالعزيز نهى عنه "[٢]. وقول ابن منظور في "لسان العرب" : (والجرشي ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة رقيق صغير الحبة وهو أسرع العنب إدراكاً وزعم أبو حنيفة أن عناقيده طوال وحبه متفرق قال: وزعموا أن العنقود منه يكون ذراعاً وفي العنوق حمراء جرشية ومن الأعناب عنب جرشي بالغ جيد ينسب إلى جُرش) [٣]. وقال البكري في معجم ما استعجم "(وعنب جرشي جيد بالغ) [٤].ولأن جرش بلدة تجارية جاذبة للسكان، فمن الطبيعي أن يقدم إليها كل من يرغب في البيع والشراء، وذلك تواجد الحضارم منذ عهد الدولة الأموية وهم قوم عرفوا بارتياد البلدان التي تنشط فيها التجارة، جاء ذكرهم في " تاريخ دمشق " : (عبدالملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي من أهل دمشق ولي الحجاز واليمن لمروان بن محمد ... بلغ عبدالله بن يحيى الأعور فسار في نحو من ثلاثين ألفاً فنزل ابن عطية بتبالة ونزل الأعور صعدة ثم التقوا فانهزم الأعور فسار إلى جُرش وسار ابن عطية فالتقوا فاقتتلوا حتى حال بينهم الليل وأصبح ابن عطية مكانه فنزل الأعور في نحو من ألف رجل من أهل حضرموت فقاتل حتى قتل ومن معه وبعث برأس الأعور إلى مروان) [٥]. ويؤيد هذا القول ما جاء في "تاريخ ابن خلدون" من أن الخليفة العباسي المأمون بعث محمد بن زياد سنة في أوائل القرن الثالث الهجري ليمهد له أمر اليمن بعد أن كاد يخرج من بين يديه، وكان لابد أن يستولي على بلاد حضرموت والشجر وديار كندة، ودخل في طاعته ولاة العباسيين السابقين والتبابعة " من بقية ملوك حمير، وكان لهم جانب صنعاء، وسنحان ونجران وجُرش[٦]. وبحكم أن جُرش بلدة تجارية نشطة، فإن تواجد الحضارم واستقرارهم بها يبدو مقبولاً طالما أنها وبلادهم حضرموت كان يحكمها وال واحد من طرف الدولة العباسية. كما تواجد بها قلة من اليهود والنصارى لممارسة التجارة والصناعة، حيث ورد في "مسند الحارث" قدوم تاجر نصراني من

(١) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة . ج١، ص ١١٠ .
(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص ١٨٩ .
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٢٧٣ .
(٤) البكري، أبو عبيد عبدالله الأندلسي، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٧٦ .
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص ١٠٠-١٠١ . ترجمة رقم ٤٢٥٥ .
(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٤، ص ٢٧٢ .

أهـل جُرشـ إلى المدينة المنـورة كما في الحديث : (قدم رجل نصـراني من أهل جرش تاجراً فكان له بيان ووقار فقيل يا رسول الله ما أعقل هذا النصراني فزجر القائل فقال مـه إن العاقـل من عمل بطاعة الله) [١]. وقال غيثان بن جريس : (وكان في بلاد جُرش بعض اليهود والنصـارى) [٢]. واسـتدل بجزية مقدارها دينار فرضـها الرسول " عليه الصلاة والسلام " على أهل الكتاب، وورد ذلك في " فتوح البلدان " (أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال فأمرهم رسـول الله ﷺ على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشـترط عليهم ضـيافة المسلمين وولي أبا سفيان بن حرب، جُرش) [٣].

قد لا يأبه البعض بالآثار، لكن التنقيب القائم على أسـس علمية، يؤكد أو ينفي بعض المعلومـات التاريخية التي تناقلها الـرواة ووثقها المؤرخـون في كتبهم نقلاً عنهم لحقائق مسـلمة . وعلـم التاريخ بطبيعة الحال يعتمد في نقولاتـه على النص المذكور في مصـدر تاريخي متفـق عليه، وعلى الوثيقة الموقعة من شخصـين أو أكـثر، وعلى القول المتواتر " الرواية الشعبية إن شاعت وكانت مقبولة عقلاً " ثم تطور المجتمع ليصبح علم الآثار أحد أهم الروافد للمؤرخين المعاصـرين وساعدهم على تحليل وتفسير الأحداث. ومـن خلال التقارير التي دونت بعـد الزيارات الميدانية لبعض العلمـاء المهتمين بالآثار وكذلك فرق التنقيب العلمية، نجد إجابات لبعض الأسـئلة التي توقف المؤرخون عندها، فهم وإن اتفقوا في وصفهم المشاهد بالعين لبلدة جُرش على أنها لا تزال تحتفظ بالكثير من الشـواهد الأثرية ؛ كأساسـات ومداميك المباني المنحوتة بعناية من صخور البازلت والجرانيـت أو المبنية بقوالب الطين[٤]. وإن آثارها لازالت ماثلة على شـكل آكام ويوجد بها صخور منحوتة، والبلدة مبنية وسط قاع منبسط، غرب جبل شكر، وطولها ألفا متر وعرضـها خمسمائة متر[٥]. وبعض بيوتها مبنية بالحجارة البيضاء وبعض غرفها طوله عشرة أمتار وعرضه خمسة أمتار، وإن بها حفراً واسعة وأفنية رحبة وحطاماً كثيراً من الآجر والفخار، ورحاً عظيمة طولها متران وعرضها متران وسمكها نصف متر . ويقول عبـدالله فلبـي : (وصـلنا إلى تل آخر منخفض تحيط به بقايا قلعـة قديمة بمتانة من حجارة جرانيتية كبيرة ومشـذبة بعناية . تغطي مسـاحة كبـيرة منها بقايا لمبان قديمة

(١) أبي أسامة، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث . ج٢، ص ٨١١ حديث رقم (٨٣٦) .
(٢) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة .ج١، ص ١١٣ .
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٧٠ .
(٤) الصوبان، سعد عبدالله وآخرون، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ١٦٢ .
(٥) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران . ص ٤٦ نقله عن الأستاذ هاشم بن سعد النعمي .

مهجورة، ممثلة لمستوطنة أكبر من أي مستوطنة أخرى في الموقع أو قريباً . ومن بين هذه حجر رحى ضخماً ساقطاً على الأرض منحوتاً من صخرة جرانيتية، كان قطره (٣،٦٩) بوصة وقطر ثقبه المركزي (٤،١٠) بوصة . كانت هذه الأطلال - وبكل وضوح - التي لا يعرف الناس أي شيء عن تاريخها هي التي أطلقت القصة الشائعة عن الكنز المخبأ) وعلق الدكتور غيثان بن جريس، بصفته مقدماً لكتاب عبدالله فلبي، "بأن الموقع المشار إليه هو بلدة جُرش التاريخية" [١]. ثم نقرأ وصف الفريق الطبي الأثري التابع لوكالة الآثار قبل دمجها في الهيئة العامة للسياحة، والمستكشف لموقع جُرش الأثري، بأنها كانت مركزاً محلياً لحضارة جنوب الجزيرة العربية، ومبانيها نوعين : النوع الأول عبارة عن مبان ضخمة قائمة على أساسات حجرية ومشيدة بأسلوب التثبيت المثلث الزوايا . والنوع الثاني استخدم فيه الآجر المحروق والطين والحجارة الصغيرة، وأشاروا إلى أنه من الواضح أنها تعرضت للتدمير متفقين في ذلك مع رأي الشيخ حمد الجاسر، وأزيل الطين دون أن يمس الآجر أو الأحجار . وأصبحت أنقاضاً ومخلفات عمرانية يصل عمقها إلى (٢،٥) متر، كما لاحظوا وجود مبانٍ مجددة مبنية بالأحجار والآجر غير المحروق[٢]. ونقرأ كذلك وصف فريق آخر تابع للهيئة العامة للسياحة والآثار، زار البلدة في سنة (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، وأجرى عملية تنقيب واستكشاف للموقع ووجد أجزاء كبيرة من حصنها وأساسات لمسجدين تم بناؤهما على أساسات الحصن الذي يعود لفترة ما قبل الإسلام، وعثروا على العديد من القطع الأثرية المتنوعة مثل الأواني الفخارية وتشابه ما عثر عليه في موقع الأخدود بنجران من حيث لون العجينة والزخرفة . وعلى عدد من قدور الطبخ وأواني الشرب. وأوان مزخرفة بدهان ذي بريق معدني، وقطع من البرونز ومسامير وقطع لحام أواني، وعدد من الرحى متوسطة الحجم[٣].

ومن خلال هذه التقارير التي وصفت البلدة بحالها الراهن، ونقبت لاستكشاف ما لم يره المؤرخ المدون، يمكننا استخدام هذه المعلومات ببعض الأخبار الواردة المتناثرة بين أسطر الكتب للإجابة على السؤال الحائر : متى وكيف انتهى دور جُرش ؟ وما هي أسرار نزوح أهلها وتخليهم عن بلدة متحضرة نسبياً بالمقارنة بما حولها، والانتقال إلى قرى بدائية في ذلك الوقت؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في الصفحة التالية .

---

(١) فيلبي، عبدالله جون، مرتفعات الجزيرة العربية . ص ٢٥٩ .

(٢) حولية الآثار العربية السعودية "أطلال" عدد ٥، ص ٢٥ .

(٣) صحيفة الاقتصادية، العدد ٦٦١٤ الصادر يوم الأحد (١٤٣٢/١٢/٢٤هـ/ الموافق ٢٠١١/١١/٢٠م). بعنوان: (الموقع تقاطعت عليه طرق التجارة الرئيسية جنوب الجزيرة العربية وشمالها، جرش السعودية تفتح خزائنها الأثرية لمسجدين وأوان فخارية) تقرير لفريق التنقيب عن الآثار التابع للهيئة العامة للسياحة والآثار برئاسة فريق تنقيب آثار جرش الدكتور عوض الزهراني مدير عام المتاحف .

إضافة إلى تقارير البعثات الأثرية، سأذكر هنا آراء سديدة لبعض المؤرخين الكبار، فالأستاذ حمد الجاسر أشار إلى أن " قبيلة العواسج التي قطنت جُرش بينها وبين جيرانها حروب انتقلت على إثرها إلى أعلى وادي بيشة "[١]. وأسند ما قاله إلى ما ذكره في وصفه : " ومن خلال آثار الدمار يتبين أن البلدة تعرضت للخراب بسبب حرب ضروس "[٢]. ويؤيد الجاسر، ما ذكره فريق وكالة الآثار عن وجود مبان مجددة لم تطلها يد التدمير أو الحرق، وأنشئت كمحاولة للعودة لم يكتب لها النجاح. وما ذكره الفريق الآخر التابع لهيئة السياحة في تقريرهم عن وجود الكثير من الآثار المنزلية المحطمة كالقدور والأواني وغيرها . أما الدكتور غيثان بن جريس فقال : " إن جُرش استمرت تؤدي مهمتها السياسية والحضارية في منطقة عسير حتى القرن السابع، وربما الثامن الهجريين " الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين " . ثم يختفي ذكرها بعد ذلك "[٣]. والأستاذ الحسيل، قال: " إنها دمرت بعد أن هاجمها صقر بن حسان اليزيدي وشتت أهلها "[٤]. وأشار الشيخ هاشم بن سعيد النعمي إلى مكانتها التاريخية والصناعية وذكر أن الحروب التي جرت بين عنز بن وائل القبيلة العدنانية، وبين بعض مجاوريهم لأسباب سياسية وثارات قبلية كانت السبب في تدميرها وجلاء سكانها بما فيهم العواسج من حمير[٥]. وأبو داهش في كتابه " أهل السراة " قال: (قيل بخراب جُرش أواخر القرن الرابع الهجري نتيجة للحروب التي وقعت بين عنز بن وائل، وبين أهل مدينة جرش من العواسج، وقيل سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) على يد قوات صقر بن حسان اليزيدي) [٦]. وفي كتاب الدر الثمين[٧] قال محققه وهو الأستاذ عبدالله بن حميِّد : هاجم المماليك بلاد عسير سنة (٩١٩هـ) حيث استخدموا المدافع فلم تسلم منهم معظم القرى والبلدات، فدمروا بلدة الجهوة التي اعتصم فيها أحد

---

(١) الجاسر . حمد . في سراة غامد وزهران، ص ٤٧ .

(٢) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤٧ نقله عن الأستاذ سليمان بن رشيد الهمزاني أحد رجال التعليم في عسير.

(٣) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١ ص ٣٦٨ .

(٤) عثمان أحمد سالم . ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٨ نقل عن الشيخ الحسيل قوله دمرها صقر بن حسان، ولم أجد في كتاب الحسيل ما يثبت ذلك ولكن يبدو أنه نقلها شفهياً منه . وتاريخ (٩٥٣هـ) يبدو فيه رقم تسعة وهو قريب في الرسم من رقم ستة الوارد في قول أبي داهش أن جُرش دمرت سنة (٦٥٣هـ) .

(٥) أبو داهش، عبدالله . أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠هـ/١٢٠٠م) . ص ٩ . القول للقاضي المؤرخ هاشم النعمي .

(٦) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ) . ص ٧٢ .

(٧) اليمني، حسن بن أحمد، الدر الثمين . قول الأستاذ عبدالله بن حميِّد رئيس النادي الأدبي بأبها سابقاً . في معرض تقديم الكتاب وتحقيقه، حيث ينسب نفسه إلى قبيلة بني ضبة التي خرجت من جُرش .

أمراء عسير حينها (علي بن وهاس بن حرب) ، ودمروا قلعة خزام قاعدة الأمير صقر بن حسان، أعلى دلقان، التي اتخذها بعد تخريب جُرش، ونزوح القبائل منها أي من جُرش وإحداها قبيلة بنو ضبة (والمحقق نسب نفسه لقبيلة بني ضبة) التي لحقت بقبيلة بني مالك بن عبدالله بن نصر بن الأزد والمقصود ببني مالك عسير وهي غير بني مالك بجيلة في الطائف وبني مالك المجاورة لجبال فيفا .

ومن سكان جرش الأصليون الذين ساهموا في رفعتها وعلو شأنها : قبيلتا بني عامر وقريش تواجدوا في جُرش" بضم الجيم وفتح الراء " قبل وبعد ظهور الإسلام وارتبطوا بعلاقات تجارية ومصاهرة اجتماعية مع أهلها . وإليكم ما هو مذكور في المصادر التاريخية : قبل ظهور الإسلام : (١) هند الجرشية لها ابنة تدعى أسماء بنت عميس، أسلمت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب القرشي[١]. (٢) هند الجُرشية لها ابنة تدعى سلمى من رجل من خثعم وكانت تحت حمزة بن عبدالمطلب القرشي، وأختها الثانية أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث تحت العباس بن عبد المطلب القرشي[٢]. (٣) جاء في" السيرة الحلبية " عن الرسول عليه الصلاة والسلام، أن خديجة رضي الله عنها بعثته إلى جرش "بضم الجيم وفتح الراء " مرتين[٣] وبالطبع كان ذلك قبل نزول الوحي. (٤) امرأة من نسل قشير بن عامر بن كعب بن ربيعة المتواجدون في جُرش وحفيدها عكرمة بن خالد العاصي المخزومي القرشي ممن كان أهله على اتصال دائم بجُرش للتجارة . كما جاء في " الإكمال " : (ظلامة بنت قرة بن محمية أو حمية بن بسرة أو بسير بن جبير من بني قشير وهي جدة عكرمة بن خالد بن العاصي بن هشام المخزومي أم أمه) [٤] وقشير من بني عامر كما جاء في " الأنساب " : (بني قشير وعقيل والجريش وجعدة بني كعب بني ربيعة بن عامر بن صعصعة ومن بني نمير وهلال ابني عامر بن صعصعة ومن بني سلول وهم مرة بن صعصعة وكل من كان من أولاد هؤلاء البطون ينسبون إلى الجد الأعلى فيقال له العامري) [٥].

وبعد ظهور الإسلام (١) تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام بابنة هند

---

(١) الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٨٠. ٢٨١ .

(٢) المكي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم، ج١، ص ٤٧٠ .

(٣) الخطيب . إبراهيم الكناني (برهان الدين) ، السيرة الحلبية، ج١، ص٢١١. وهذا القول يحتاج إلى تمحيص ومراجعة .

(٤) ماكولا، علي ؛ الإكمال في رفع الارتياب، ج١، ص ٣٠٤ .

(٥) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٤، ص ١١٤ .

الجرشية[١] "ميمونة" : رضي الله عنها [٢]. بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وهي " أي ميمونة " خالة ابن عباس رضي الله عنهما ورد ذلك في الطبقات الكبرى للزهري[٣]. وفي " الطبقات لابن خياط "[٤]. وفي " البداية والنهاية "[٥]. وفي " تاريخ ابن خلدون "[٦]. وفي " المعارف "[٧]. وفي " سمط النجوم "[٨]. وفي "تاريخ مدينة دمشق"[٩]. ولا نستغرب تواجد بني عامر في جُرش واتصالهم بالقرشيين والحميريين أهل جُرش، فهم وإن كانت ديارهم الأفلاج بنجد، إلا أن العديد من المصادر تؤكد أنهم متصلون بجرش ؛ ودليل ذلك ما جاء في "سير أعلام النبلاء "[١٠] و" بغية الطلب " حول عدم تحريم الرسول عليه الصلاة والسلام للضب، سنجد هنا ميمونة رضي الله عنها زوج النبي عليه الصلاة والسلام من بني عامر، وأمها هند الجرشية من حمير، وخالد ابن الوليد رضي الله عنه : (دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته وخالة ابن عباس فوجد عندها ضباً محنوذاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد فقدمت الضب لرسول الله ﷺ وكان قل ما يقدم يده لطعام حتى يحدث به ويسمى له فأهوى رسول الله ﷺ إلى الضب فقالت امرأة من نسوة الحضور أخبرن رسول الله ﷺ ما قدمتن قلن هذا الضب فرفع رسول الله ﷺ يده فقال خالد بن الوليد أمحرم الضب يا رسول الله قال أراه لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه قال خالد اجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر فلم ينهني"[١١] . (٢) حفيدة عثمان بن عفان رضي الله عنه يقال لها الجرشية، وهي ابنة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان، ولدت في جُرش، وتزوجها الخليفة العباسي هارون الرشيد

---

(١) هند الجرشية: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من ولد حماطة بن حمير، وقد تصحف الاسم إلى عمرو، والصحيح "عوف".

(٢) ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي من بني هلال بن عامر بن صعصعة .

(٣) الزهري، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى . ج٢، ص ٢٧٦، ج٨، ص ٢٨١ .

(٤) ابن خياط، طبقات ابن خياط، ج١، ص ٣٣٨ .

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٩٢ .

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٢، ص ٤٥٥ .

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ج١، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٨) المكي، سمط النجوم، ج١، ص ٤٧٠ .

(٩) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق . ج٢٧، ص ٢٥٠ .

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء . ج١، ص ٣٦٨ .

(١١) ابن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب . ج٧، ص ٣١٢١ .

ورد ذلك في " البداية والنهاية "[١] وفي " المنتظم "[٢] وفي "تاريخ الطبري "[٣] وهي في التسلسل الأسري تأتي الخامسة بعد والدها عبدالله، وجدها الثاني محمد، وجدها الثالث عبدالله، وجدها الرابع عمر، وجدها الخامس الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وهنا سؤال كيف لحفيدة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تستوطن جُرش، بينما المفترض أن تكون بمكة أو المدينة أو دمشق أو بغداد .

(٣) بعد فتح جرش على يد صرد الأزدي، تولى أبو سفيان بن حرب، علي جُرش[٤] وهو ليس بغريب عنها لأن أمه عامرية، ورد ذلك في "تاريخ مدينة دمشق " : (أم أبي سفيان صفية بنت حزن من بني هلال بن عامر بن صعصعة أسلم أبو سفيان قبل يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ الطائف [٥] . واتصال أبي سفيان ووالده بأهل جُرش كان للتجارة رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، ولا يمنع أن تمت المصاهرة. (٤) الخيزران الجرشية من أهل جُرش هي أم الخليفة العباسي هارون الرشيد . ورد ذلك في عدة مصادر أيضاً [٦] . إذاً القرشيون وبعد أن أصبحوا خلفاءً وحكاماً للدولة الإسلامية، لم ينقطع اتصالهم بالجرشيين، بل المصاهرة لا تزال مستمرة . (٥) أشار الدكتور غيثان بن جريس إلى وجود فئة من موالي قريش في جُرش، قال: (وفي شرق قرية جُرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش) [٧] وهذا دليل على أن تواجد المجتمع القرشي في جُرش لم يكن عابراً، بل كان متأصلاً إلى حد وجود حي يقطنه مواليهم . (٦) بني شكر الجرشيون، هم أيضاً من بني عامر بن صعصعة بربيعة، وكان لهم موضع قدم في جُرش مع بني وائل، قال ابن خلدون : (أما من ربيعة فبنو ثعلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بني شكر وبني حنيفة) [٨] صاحب " توضيح المشتبه " نقلاً عن ابن الجوزي : (الشكري ... من بني شكر بن عامر) [٩] وفي قول آخر لبعض أبناء بني عمر أنهم من بني شكر، ذكر ذلك الدكتور ابن قشاش في معرض

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ٢٢٢ .
(٢) الجوزي، أبو الفرج، المنتظم . ج٨، ص ٣١٩ .
(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص ٢٣ .
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٩٧ .
(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص ٤٣٢ .
(٦) الشيباني، الكامل . ج٥، ص ٢٧٧. تاريخ الطبري . ج٤، ص ٦١٧. الوافي بالوفيات، للصفدي . ج١٣، ص ٢٨٠ . ترجمة رقم (٢) .
(٧) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة . ج١ ص ١١١ نقلاً عن الهمداني .
(٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . ج٦، ص٤ .
(٩) القيسي، محمد، توضيح المشتبه . ج٥، ص ١٢١ .

رده المنشور في جريدة البلاد . (٧) بنو نمير وهلال ابني عامر بن صعصعة ومن بني سلول وهم مرة بن صعصعة وكل من كان من أولاد هؤلاء البطون ينسبون إلى الجد الأعلى فيقال له العامري) [١].

والسؤال المحير : أين ذهب هؤلاء بعد اندثار جُرش ؟! لا يعقل أبداً أنهم اختفوا، لكن المقبول أنهم انتقلوا ومن المرجح أو شبه المؤكد أنهم انتقلوا إلى الحاضرة الجديدة بلجرشي، حيث لازال أهالي بلجرشي يذكرونهم بلفظ قريش وبني عامر، أو ما يرد في بعض الوثائق بين أهل بلجرشي الحاضرة الحالية عند قولهم (أمراء قريش) [٢].

ثالثاً : وقفات مع بدايات بلجرشي(غامد) وصلتها بجُرش (عسير) :

عرفنا أن جُرش دمرت وتشتت أهلها وتعرضت لهجمات متكررة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين . ثبت ذلك بما ورد في المصادر التاريخية، وما ورد في كتب الرحالة والمؤرخين المعاصرين كالجاسر وعبدالله فلبي وغيرهما، وما قررته البعثات الاستكشافية لفرق الآثار في السنوات الأخيرة من خلال الدراسات التي أجريت وتبين وجود آثار للتدمير والحرائق في أوقات مختلفة . وقد تضاربت الآراء حول اختفاء سكانها، وقد وردت أخبار أن أهل بلجرشي الحاليين كانوا مع من جرت عليهم أحداث فتح جُرش التاريخية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فهل انتقلوا ونقلوا تاريخهم وثقافتهم وما تواتر بينهم من جُرش إلى بلجرشي (المنطقة التي تقع بين بلاد غامد وخثعم)؟ إنه سؤال محير ولعلنا نجد إجابته بين ثنايا هذه الدلائل التاريخية والجغرافية والاجتماعية التالية : (١) التواتر يعتبر من القرائن التي يؤخذ بها في المنهج التاريخي[٣] وأهل الحاضرة الحالية (بلجرشي) تواتر الخبر بينهم وتعارفوا على أنهم المعنيون بالرواية التاريخية الثابتة التي وردت في عدة مصادر حول الصحابي صرد الأزدي وفتحه لجُرش، ومنهم إبراهيم الحسيل، في قوله (بلجرشي يدعون كابراً عن كابر أنهم أصحاب القصة المذكورة في كتاب السيرة النبوية وكتب التاريخ

---

(١) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٤، ص ١١٤ .

(٢) يا أستاذ عبد الله المغرم الغامدي هذه وجهة نظر يجب أن نحترمها، ولا نفرضها، وتحتاج منا معاشر المؤرخين والآثاريين إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل، ولا يستبعد أن ما ذكرته صحيح لتقارب لفظي (جرش) و (بلجرشي) والأهم من ذلك أن الهجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها كانت سارية ومستمرة عبر عصور التاريخ، وهناك احتمال كبير جداً أن بعض سكان جرش لم يستقروا في مناطق عسير، وإنما هاجروا إلى مناطق غامد وزهران والحجاز، ومن المؤكد أن بعضهم هاجر خارج شبه الجزيرة العربية (ابن جريس) .

(٣) النهاري، عبدالعزيز . وحسن السريحي، مقدمة في مناهج البحث العلمي . ص ٢٣٨ .

التي تتعلق بإسلام صرد بن عبدالله الأزدي وقتاله أهالي جُرش) [١]. ومن المؤكد تاريخياً أن المعركة لم تقع في الموضع الحالي لبلجرشي، بل وقعت في الموقع المعروف لجُرش بمنطقة عسير، ومن الممكن أن أحفادهم توارثوا الخبر وانتقل معهم فيما بعد إلى الموضع الحالي. (٢) ما ذكر في هامش كتاب الدر الثمين عن بلجرشي وأهلها : (ومن أولاده الذين برزوا في المنطقة وكان لهم مع من جاورهم الكثير من الجولات (خالد بن عبدالله بن علي بن محمد) الذي وقف بقواته من قبائل الأزد (عسير) ومن التف معهم من قبائل (الحارث بن كعب) و (بني هلال) و (بني مذحج) (عبيدة) و (يام) و(حمير) و(شهران) و(ناهس) و(منبه) بقيادة أميره على (جُرش) عبدالله بن الأحمر الجرشي) لقد وقفوا بجانب الهيصم بن عبدالرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن . وثار على الخليفة العباسي هارون الرشيد عام (١٨٩هـ/ ٨٠٤م) وانتصر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في بيشة فجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة حماد البربري حيث انتصر على قوات الهيصم وخالد ولاحقهم فتحصن الهيصم في جُرش فألقي القبض عليه. وأرسل إلى بغداد . فقتل هناك ومن معه . وتحصن خالد في الرهوة حيث قتل بعد مدة . وخربت الرهوة ونقل عبدالله بن الأحمر الجرشي أميراً على بلاد غامد وزهران. وكان من نسله عشيرة الحمران بغامد. وبه عرفت منطقة بلجرشي وتعني (ابن الجرشي) [٢].

(٣) المصادر التاريخية كمعجم البلدان وغيره من كتب الرحالة الذين صدرت مؤلفاتهم قبل نهاية القرن الثامن الهجري لم يُشر أي منها إلى قبيلة تدعى بنو الجرشي أو حاضرة تجارية أو صناعية معروفة، كانت تتواجد قبل سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) في المنطقة الواقعة بين بلاد خثعم وبلاد غامد، أو بجوار الشواهد الجغرافية التي ذكروها كجبل حزنة. وبناء عليه اعتقد أن الجرشيون تواجدوا في الموقع الحالي (بلجرشي) ما بين القرن التاسع أو العاشر الهجريين . فالهمداني حين وصف سراة غامد لم يذكر بنو الجرشي أو بلجرشي أو إحدى قراها المعروفة، وجعل بلاد الحجر بين بلاد غامد وجرش، قال: (ثم يتلو معدن البرام ومطار صاعداً إلى اليمن سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد بني سلامان بن مفرح وألمع وبارق ودوس وغامد والحجر إلى جرش[٣]. وكذلك ياقوت لم يذكر شيئاً عنها رغم إشارته إلى جبل حزنة[٤]

(١) الحسيل، إبراهيم . غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان . ج١، ص ٣٣٧ .
(٢) اليمني، حسن بن أحمد، الدر الثمين، ص١٤، تعليق المحقق في الهامش .
(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب . ص
(٤) جبل حزنة، أعلى جبال بلجرشي ارتفاعاً يطل عليها وعلى تهامة، كان الرجال ولا يزالون يبرزون قدراتهم وشجاعتهم بالصعود إلى قمته في طريق لا يعرفها سوى القلة .

في قوله : (حزنة بالضم ثم السكون، جبل في ديار شكر إخوة بارق من الأزد) [١]. وجبل حزنة معروف جوار بلجرشي، أما بلدة (زبيد) التي ورد لها إشارة غير مباشرة في " معجم البلدان " فإن ياقوت نسبها إلى خثعم ولم ينسبها لبني الجرشي أو غامد . كما في قوله (غير التي في جبال خثعم) مقارنة بالمشهورة في بلاد اليمن، ونص ياقوت الحموي: (مخلاف زبيد منه قلاع وهو واد فيه نخل غير التي في جبال خثعم) [٢]. (٤) بالاطلاع على كتاب (وثائق من التاريخ) للأستاذ علي السلوك وكتاب(السيرة في علوم الديرة) الأستاذ ابن حرقوش، لم أجد وثيقة واحدة مؤرخة قبل (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) تشير إلى تواجد سكاني منسوب إلى بني الجرشي أو بلدة بلجرشي، ولكن من سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) وما بعدها يوجد عدة وثائق تفيدنا بدليل واضح لا لبس عليه بأن المنطقة المسماة بلجرشي كانت أرضاً بكراً حتى ذلك الوقت وغير محددة المعالم . وتم اقتسام الجزء الجنوبي من بلجرشي مع قبيلة بني جرة بموجب الوثيقة المؤرخة في سنة (١١٤٨هـ/١٧٣٥م) . وهذا نصها : (الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فإنه انقطع النزاع فيما بين بني جرة وبلجرشي في الفيض حضر من بلجرشي عبدالله بن جاري وعقال بن عقال وأحمد بن علي الهيزي... وعطية بن هتان وحصيني المداني . ومن بني جرة شدا بن عياض ... وبركات بن طاهر ومسفر بن قنف وهندي بن عامر وأحمد بن جربوع ثم بعد حضورهم تصادقوا على الديرة وحدودها وقاموا على حدانها وتقاروا عليها من المدرج إلى غار الجروة ثم عرق الخربة ثم الناب الواسط ثم الصفا ثم ماء الطير ثم النصيلة ثم المسجد رأس أم غيثٍ ثم مقتل السعيدي هذه حدان الديرة بينهم ثم بعد مصادقتهم طلب الجرشي يميناً من بني جرة فحلفوا له بني جرة من طرف الديرة من فوق الحد أيمان خمسين مقدمهم جربوع ثم أيمان خمسين من فوق السوق مقدمهم مسحق بن قنف ثم رضي الجميع وصدروا من فوق السوق راضين جميع شهد هذا الله سبحانه وتعالى وأحمد بادي الجعيدي وأحمد أبو حجر وسفر بن قذذ السعيدي وعبدالله بن قاسم الخفوي وبركات .... ومن الشهود مسفر بن معيض المقموري ومن أهل الرمادة ... وأحمد بن حميش وعيسى بن أحمد بن بشيتي ويحيى بن عاصي والله خير الشاهدين بتاريخ (٨) خلت من شهر الحج الحرام (١١٤٨هـ/١٧٣٥م) ثمان وأربعين ومائة ألف من هجرته صلى الله عليه وسلم، ثم أن هذا الذي وقع بين الجري والجرشي بعدما طلبوا بني جرة أهل مالحة يحضرون معهم ويخاصمون الجرشي معهم فأبوا ويقولون ما عاد لنا ديرة ولا

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٥ .
(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان . ج٥، ص ٧٠ .

فيض .. أم غيث وإن الديرة ما عادت إلا لك يا جري والجرشي .. وأمن أهل مالحة حسن بن رداد ومسفر الجعيرة ومشعل و... وخضر ومسفر بن الحارثي ومجري ثم إن الذين حضروا من أهل مالحة أقروا وصادقوا أن ماعاد لهم ديرة وأشهدوا على أنفسهم الله ورسوله وخلق كثير من عباد الله وكتب الشهود والحدود حسبما ذكروا الشهود الفقيه محمد... أبلج لطف الله به) [١]. (٥) مرفأ القنفذة لم ينشط تجارياً إل بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، حيث ورد ذكره سنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) في كتاب الصنعاني (تاريخ اليمن) عند تعرضه لمحاولة تخريب ونهب: (جاء الخبر أن أصحاب حمود غزوا بندر القنفذة وأرادوا انتهابه فحرقوا أطراف البندر ودافعهم أهلها فانكسروا بعد أن ذهب بالقتل ثلاثة أنفار) [٢]. والمرافئ تبقى خاملة ولا تتحرك إلا إذا كان هناك نشاط تجاري، لذلك أعتقد أنه بمجرد أن أنشأ الجرشيون حاضرتهم، وبدأوا بممارسة نشاطهم التجاري الصناعي كما هو معروف عنهم تاريخياً، دب النشاط في مرفأ القنفذة . (٦) ما ذكره أحمد قشاش واتفق مع كل ما قاله عدا نسبة بني شكر إلى الأزد[٣]، والأصح حسب قول النسابة أنهم من بني عامر بن كعب " عمريون أو عوامر والأخير صحيحة " قال : (إن مدينة بلجرشي ؛ وأهلها بنو الجرشي، وهو عبدالله بن الأحمر الجرشي، وهو من جرش، وهي اليوم بلدة مندثرة في خميس مشيط، ولاه الخليفة العباسي هارون الرشيد بلاد غامد وزهران وشكر، فاتخذ من ديار شكر قاعدة له، فبنوه اليوم يدعون بالجرشي، ... وكانت بلدتهم تسمى دار السوق، ولما نقلت الإمارة إليها عام (١٣٧١هـ / ١٩٥١م)، غلب اسم القبيلة على البلدة . وكانت سوقاً عامرة يقصدها الناس من جهات شتى ؛ واستوطنتها أسر من قبائل مختلفة غير بني الجرشي من غامد، وزهران، وبجيلة، وبني شهر، وغيرهم ؛ فسكانها خليط من قبائل عدة، ومن هنا كان من أسمائها أيضاً الدار المخلطة . وفي بلجرشي اليوم أسر لا تزال تحتفظ بنسبها إلى شكر) . ثم ورد له نص آخر في نفس الصفحة، قال: (وبعد انتقال مشيخة بني عمر إلى تهامة، انتسب أفراد من بني ناشر السراة إلى غامد، وذلك لأسباب منها قرب إدارة الأحوال المدنية وقد حصلوا منها على هويتهم الشخصية، وهي تتبع إمارة بلجرشي ومشيختها، وبلجرشي اليوم في عداد

---

(١) حرقوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٥٩ .

(٢) الصنعاني، ابن الوزير عبدالله، تاريخ اليمن . ج١، ص ٣٣٠ . للمزيد عن بدايات وتاريخ منطقة القنفذة انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ ق١٦-ق٢١م) (دراسة تاريخية حضارية) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٥٢٧صفحة) .

(٣) جريدة البلاد، ملحق التراث. الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (مقال منشور) للدكتور أحمد قشاش من أهالي بلجرشي) .

قبيلة غامد . وهناك أسر كثيرة من بني ناشر السراة لم تذيل أسماءها بالانتساب إلى قبيلة غامد ، وينتسبون إما إلى بني عُمر فيقولون : العُمري وإما إلى قراهم، فيقولون : الحزنوي أو الغيلاني أو المصنعي، وبعضهم يكتفي بلقبه أو شهرته الخاصة، أو باسم جده الأعلى) . ويذكر قشاش قائلاً : (ديار قبيلة بني عمر تتوزع منذ القدم بين السراة وتهامة، وبنو عُمر السراة هم بطون من بني ناشر وهم أهل حزنة والمصنعة وغيلان والربقة، والفقهاء، وكانت ديار بني عُمر قبل حادثة الإجلاء المعروفة في حدود القرن العاشر الهجري تحتل حيزاً كبيراً من السراة، ولا يزال بعض كبار السن من أهل المنطقة يعرفون حدود ديارهم القديمة إلى اليوم، وبنو ناشر في السراة وتهامة جميعهم من بني عُمر، وكان لهم مشيخة مستقلة . ومشيختهم جميعاً حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في حزنة، ومن أشهر شيوخهم محمد بن فرحة، وعبدالرحمن بن قشاش (ت ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) ولهذا قلت إن بني عُمر في العصر الحاضر إنما هم امتداد لقبيلة شكر، لأن ديارهم اليوم هي ديار قبيلة شكر قديماً، باستثناء بعض الجهات الشرقية التي أصبحت اليوم من ديار غامد . ومن الأماكن التي ذكرت لشكر، وهي في ديار بني عُمر اليوم أو هي قريبة منها: الحال، وقد امتد إليها عمران مدينة بلجرشي"[١]. (٧) الجُرشي : ينسب إلى جُرش، كما ورد في " الأنساب" : (الجُرشي بضم الجيم وفتح الراء وفي آخرها الشين المعجمة هذه النسبة إلى بني جُرش بطن من حمير) [٢] . وكما في " السيرة الحلبية " : (نافع الجرشي نسبة إلى جُرَش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم) [٣] ويجوز إضافة حرف باء أول الاسم . لتصبح (بالجرشي) ويفهم منها نسبة الشخص إلى قبيلته كما هو متعارف عليه في حضرموت وعمان وبعض بلاد السراة كقبائل الحجر وهي بالقرن وبللحمر وبللسمر، وفي ذلك لا نتجاوز ماقاله العسكري في (اللباب في علل البناء والإعراب) من أن بعض العرب يلفظ (بني الفلان) بلفلان، وحذف النون والياء لأن النون تدغم في اللام، ولوجود الياء بينهما، خففوا بالحذف، ولذا أجازها بعض النحويين لشيوع لفظها بين بعض العرب[٤]. ورغم أن الشيخ حمد الجاسر أعاد بنو الجرشي إلى قبيلة غامد في قوله : (بلجرشي " بنو الجرشي" من قبيلة غامد، من قراهم ـ في السراة ـ البركة، بنو عامر، الغازي، الحصن، بنو عبيد، حزنة، الفقهاء،

(١) انظر : أحمد بن سعيد قشاش . (جريدة البلاد ـ ملحق التراث ـ الخميس ١٥ جمادى الأولى / ١٤٢٠هـ) .
(٢) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٢، ص ٤٤ .
(٣) الخطيب، إبراهيم الكناني (برهان الدين)، السيرة الحلبية، ج١، ص ٣٢١ .
(٤) العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، ج٢، ص ٤٧٩ .

غيلانٍ، المكارمة، العطاشينٍ، البكير، جبر) [١] ؛ إلا أنه أشار إلى أن هذا الأمر كان تحالفاً ومجاورة وليس نسباً وهم في الأصل ينسبون إلى رجل قدم من جُرش، وأن بلجرشي سميت باسم ساكنها وصواب الاسم " بنو الجرشي " لأن دخول بعض القبائل تحت مسمى غيرها بالتحالف والجوار كان أمراً شائعاً [٢]. وأيده في قوله إبراهيم الحسيل، قال: (ليس في نسب غامد " بلجرشي " ولعل بلجرشي نسبة إلى جُرش، وسكان جرش سابقاً من قبائل حمير من العرب العاربة) وأضاف أن أصل بلجرشي يعود إلى نزوح بعض أهل مدينة جُرش قرب خميس مشيط بعد أن دمرها صقر بن حسان عام (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) [٣]. وقول المؤلفين يقبله العقل ويؤيده الواقع .

(٨) لقب (الغامدي) لم يكن يتلقب به معظم أهالي بالجرشي ، فالكثير منهم كان يستخدم لقبه الأصلي (الجرشي) الذي كان متداولاً حتى وقت قريب، حيث أن هناك عدة وثائق كتبت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) أطلق فيها على بلجرشي (قبيلة الجرشي) [٤]. وفي القرن العاشر الهجري أيضاً ورد هذا اللقب في كتاب " سمط النجوم " لرجل من كبار تجار جدة تسبب في عزل شريف مكة بما له من مال ونفوذ ، قال المكي : (وسبب العزل أن رجلاً يسمى جابراً الجرشي من أرباب الأموال بجدة لما تغير عليه الشريف حسين وصادره وأخرجه من جدة لأمر اقتضى ذلك عزم إلى مصر وكدر خاطر السلطان على مولانا الشريف حسين ودبرهم في هذا الأمر) [٥]. وبقي اللقب متداولاً حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حيث تلقب به غير واحد، ومنهم أحد الشهود على وثيقة صلح بين أهالي قرية حزنة، وهذا جزء من النص : (الحمد لله وحده، كذلك شهد على سماع لفظ الشاهد المشار إليه محمد بن جلال الجرشي، وعلي بن موسى الحر في كاتب تاريخ سطوره سنة (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩هـ) وجاء في "تاريخ اللامع " للعامودي، أن الأزد أقاموا في بلاد بني جرشي . قال : (ومنهم أزد شنوءة بجبال الحجاز بلاد بني جرشي، وادي جرش من اليمن وما والاها : قبيلة مشهورة في عداد النسابين ومنهم كثير بتهامة

---

(١) الجاسر، حمد . معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ص ٨٠ .

(٢) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٤٢ .

(٣) عثمان، أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران، ص ١٨ نقلاً عن الشيخ الحسيل قوله دمرها صقر بن حسان، ولم أجده في كتاب الحسيل ويبدو أنه سمعها منه .

(٤) الغامدي، على حرقوش، السيرة في علوم الديرة، وثيقة رقم (٦٤) ص ٢٩٢ : السطر ما قبل الأخير" .

(٥) المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم، ج٤، ص ٢٦٩ .

اليمن ينتسبون إليهم يسمون بالأسديين لغة في الأزد [١]. والعامودي (من المؤرخين المعاصرين) أطلق على أهل بلجرشي مسمى (بنو جرش) خلال ذكره للحادثة التي وقعت سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م). وأدت إلى انضمام بلجرشي لحكم الملك عبدالعزيز آل سعود . قال : (وفي شهر شعبان سنة أربعين مر الملك ابن سعود على بني جرشي من بلاد غامد بجبل السراة فاقتتلوا معهم، فغلب جيش الملك ابن سعود أهل بلاد غامد وخادعت رجال غامد قبل لانضمامهم إلى رئيسهم عبدالعزيز، لأن بني جرشي في نظارة محمد بن عبدالعزيز ابن أخي عبدالعزيز. وقد كان على ما قيل: أن ابن سعود انحل ابن عبدالعزيز سيماوية[٢]. وهو محمد بن عبدالعزيز رئيس بني جرشي، ووفد محمد بن عبدالعزيز على الملك ابن سعود بالرياض بهدايا جسمية، وأكرمه الملك ابن سعود غاية الإكرام . فبعد مقولة من نجد توجه إلى مكة يحاطب الشريف الحسين بن علي عن المأسورين لديه من غامد، فأغرى به عمه على الملك ابن سعود، أنه دخل في عهد الشريف الحسين، ونقض عهدكم، فخرجت إلى بلاده الجيوش النجدية السعودية، مع القواد العظام، فاحتلها، ومحمد بن عبدالعزيز بمكة في خطاب المأسورين، فاحتلت النجود البلاد وذلك في رمضان من هذه السنة [٣]. وتفرق أصحاب محمد بن عبد العزيز في اليمن، والشام شذر مذر، بعد أن كانوا أغنى من بِبلاد غامد[٤]. (٩) النشاط الصناعي والتجاري الذي عرف في بلجرشي، هل نشأ سريعاً وخلال أقل من قرنين هجرية، أي من بعد سنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م) ؟ هذا أمر غير معقول ويتنافى مع آراء علماء الاجتماع، ومنهم "ابن خلدون" المعتبر والمعتمد من قبل علماء علم الاجتماع الأوربيين كأستاذ لهم وعالم مؤسس لهذا العلم في قوله : (إن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران، والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال [٥]، وأضاف: (أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات إذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم . وأما الصنائع فهي ثانيتها ومتأخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصرف

---

(١) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ٩٣ .

(٢) تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع "فصول من تاريخ الجزيرة العربية، وأدبها من قبل الإسلام إلى سنة (١٣٤١هـ) تأليف القاضي عبدالله بن علي العامودي، تحقيق وتقديم : أ. د . عبدالله بن محمد أبو داهش .

(٣) يقصد سنة (١٣٤٠هـ)

(٤) العمودي، عبد الله بن علي، تاريخ اللامع، ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٨، الباب الخامس : الفصل الثامن عشر" .

فيها الأفكار والأنظار ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضر) [١]. وأضاف أن الصناعة تتطور بتطور الحضارة والعمارة: (على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع) [٢]. إذاً كيف تبوأت بلجرشي مكانة متقدمة وأتقن أهلها مهن التجارة والسمسرة والحرف اليدوية رغم صعوبة ذلك، لا يمكن أن تتقن إلا بعلم متراكم متأصل وممارسة مستمرة ناجحة . إذ نستنتج أن الحضارة والعلم والقوة الاقتصادية وإتقان الحرف منقول من الموضع المشهور تاريخياً بـ (بلجرشي) [٣].

- **الاختلاف بين جبل شكر في بلجرشي وجُرش:**

جبل شكر يقع شمال غرب جبل ضمك كما يسمى الموقع شرقي جبل شكر بالبغث، يقول هاشم بن سعيد النعمي إن جبل حمومة هو جبل شكر. وما ذكروا له أنهم من منطقة جرش قرب جبل كشر فغير النبي محمد ﷺ الاسم إلى شكر وهو جبل صغير غرب جبل ضمك المعروف في محافظة أحد رفيدة ويسمى اليوم باسم شكر. حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، قال : قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبدالله الأزدي، فأسلم فحسن إسلامه في وفد من الأزد، فأمره رسول الله على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين فحاصروهم بها قريباً من شهر وامتنعوا منهم فيها، ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان إلى جبل يقال له : كُشرَ، ظن أهل جُرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً . وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بأي بلاد الله شكر ؟ " فقام الجرشيان، فقالا : يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له جبل كشر، وكذلك تسميه أهل جرش . فقال: " إن بُدن الله لتنحر عنده الآن " . قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما : ويحكما إن رسول الله الآن لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال:

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩/ ٤٢٠ . الباب الخامس، الفصل الثاني " في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه)

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٧ . الباب الخامس " الفصل السابع عشر " .

(٣) هذه وجهة نظر نحترمها يا أستاذ عبدالله، لكنها مازالت تحتاج إلى براهين وشواهد وأدلة تدعم ما ذكرت، ونرجو منك أو من باحث آخر أن يواصل البحث في هذه الأقوال لعله يثبت أقوالاً وروايات أقوى مما دونت في هذه الصفحات (ابن جريس).

" اللهـم ارفع عنهم " فخرجا من عند رسـول الله راجعـين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصـيبوا يوم أصابهم صـرد بن عبدالله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي السـاعة التي ذكر فيها ماذكر . فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسـول الله ﷺ فأسـلموا، وحمى لهم حمى حـول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة والمثيرة تثير الحرث، فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سُحت"،

• أسباب اختيار موقع بلجرشي الحالي :

كـم من المدن دمـرت وهجرها أهلها واختفت حضـارتها، لكن إن بقي النسـيج الاجتماعي مترابطاً ومتناسقاً، وتوفرت الظروف المناسبة، فما الذي يمنعها من استعادة نشـاطها مرة أخـرى ؟ لذلك أرى مـن وجهة نظري المسـتندة على ما قدمتـه من دلائل اجتماعية وتاريخية في السطور السابقة، أن الجرشيين ابتعدوا عن مصدر الخطر بقصد إعادة تنظيم حياتهم وإقامة حاضـرة جديدة في مكان أمين وليس ببعيد عن السابق، مع احتفاظهـم بالبناء الاجتماعي وتوفر نفس الظروف التي كانت سـبباً في نجاحهم، وهي وجود مرفأ بحري قريب هو (القنفذة)، ووجود طريق رئيسي للحج شرق الموقع الجديد، (طريـق البخور)، والتشـابه الجغرافي والمناخي والنباتي بين بلاد جرش وبلجرشـي[1]. وبالتالي لم يتغير شـيء فالمعاهدات القبلية ضـمنت لهم الأمن والأمان لممارسة أعمالهم الحضـارية، وتم إبـرام تحالفات واتفاقـات مع القبائل المجاورة مثـل خثعم وغامد وبني عمر الشكريين العامريين في المخواة وقبائل زبيد جهة القنفذة لحماية القوافل التجارية . كذلك المسـافة بين الموضـعين بلجرشـي وجرش حوالي (٢٢٧) كيلومتر حسـب قياس أدوات جوجل إذا قيست بخط مستقيم بعيداً عن تعرجات الطريق [2].

• دور موقع بلجرشي الحالي في ازدهار الاقتصاد الجرشي:

المدن الحضـرية التجارية لا يمكنها البقاء والاسـتمرار إلا في موقع يسـهل لها الاتصال بالمدن والأرياف عبر علاقات منظمة . أو أن تكون عاصمة دولة، أو مقراً لرمز

---

(١) من يطالع أحوال بلاد السراة من نجران إلى الطائف يجدها متشابهة في تركيبتها الجغرافية والبشرية، وإذا بحثنا في هجرات الأسـر والعشـائر والأفراد من الجنوب إلى الشمال فهي مستمرة من عصور ما قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسـلامي . والذاهب في أرجاء السـروات يجد الكثير من الأسـر القحطانية والشـهرانية وغيرها نزحوا من بلادهم خلال عصور الإسلام المختلفة واستقروا في بلاد السروات الممتدة من أبها إلى الطائف . (ابن جريس) .

(٢) هذه أطروحات ووجهات نظر يا ابن مغرم ومازالت تستحق الدراسة والبحث أكثر، ومن الصعب أن ننسف أقوالك ولا نقبلهـا لأنهـا لا تخلو من بعض الإيجابيات، وكون أن هناك أقواماً هاجروا من جُرش إلى سـروات غامد فهذا أمر طبيعي، لأننا نجد المصادر والوثائق تذكر أسراً وعشائر وأفراداً كثيرين هاجروا من جُرش إلى سروات غامد فهذا أمر طبيعي، كما نجد المصـادر والوثائق تذكر أسـراً وعشـائر وأفراداً كثيرين هاجروا من اليمن وسـروات قحطان وشهران وعسير إلى سروات رجال الحجر، وبلاد غامد وزهران، وبلاد الحجاز وغيرها من البلدان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. (ابن جريس) .

ديني، أو مرفأ بحرياً ذا ظهير اقتصادي أو محطة مرور قوافل دينية وتجارية . وبتطبيق هذا المفهوم على بلجرشي، سنجد موقعها كغيره من مواضع الأسواق الأسبوعية المجاورة التي تتوسط القرى الزراعية في جبال السراة، وتتمتع بحماية قبلية من تباين التضاريس والمناخ في المناطق السهلية التهامية والجبلية السروية، إضافة إلى القرب من البحر الأحمر والمراكز الاستهلاكية . والحركة الاقتصادية التي اشتهرت بها بلجرشي، وأيضاً أهلها أصحاب خبرة من ناحية اتقان العمل التجاري والصناعي، وأعتقد أنها مكتسبة من حضارة جُرش المنقولة[١] .

أما التركيبة السكانية المتجانسة في بلجرشي، فإن معظم الأسر الجُرشية تعود إلى أصول كريمة ذات حسب ونسب، وتمسكهم بعادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم، وأقول هذا لأن الموضوع الذي سأخوض فيه حساس نوعاً ما، ولكني مجرد ناقل لما يقوله علماء كبار عن بعض المناطق التي غلب عليها التحضر وأحدهم ابن المجاور الذي أشار إلى أن قبائل مختلفة اشتركت في استيطان بلاد السروات، فقال : (أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشائخ منهم وفيهم، وهم بطون متفرقون) [٢] .فقال: " وعلق غيثان بن جريس على نصوص : الهمداني بقوله: (ويفهم من حديث الهمداني عندما قال : " ثم سراة زهران من الأزد، ودوس، وغامد، والحجر، نجدها بنو سواءة بن عامر، وغورها لهب، وعويل من الأزد وبنو عامر، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية " بأن الاختلاط والاندماج كان قائماً، فبنو سواءة خليط من أفخاد وعشائر سواءً كانت قحطانية أو عدنانية، وأحياناً يكون خليط مجموعة من العشائر مندرجاً تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة [٣] . وأضاف : (ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة يشاهد عدداً من الأسر والأفخاذ القبلية المنتشرة في هذه البلاد وهي من أصول مضرية عدنانية) [٤] . وقد يكون قول ابن جريس فيه شيء من الصحة لأن السمعاني صاحب كتاب "الأنساب" أشار إلى أن هناك قبيلة اختلطت بقبائل السراة تدعى (بني سواءة) والنسبة إليها (السواني) وهي من بني عامر بن صعصعة[٥] . وأضاف ابن جريس في موضع آخر قائلاً: (من يتجول في

(١) هذه وجهة نظر لكنها مازالت ضعيفة وتحتاج إلى براهين أقوى مما تم تدوينه، وبلاد بلجرشي مثلها مثل غيرها من مدن وقرى وحواضر السروات . (ابن جريس) .
(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، (٦٩٠هـ/١٢٩١م) .
(٣) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢، ص ١٤٣ .
(٤) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٣٣ هامش الكتاب رقم (١٠) .
(٥) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج٣، ص ٣٣٠ .

طول وعرض بلاد السراة اليوم يلاحظ بعض العناصر البشرية التي يظهر من أشكال بشرتها، وهيئة شعورهم وتقسيمات وجوههم أنهم يعودون إلى سلالات إفريقية أو تركية وغيرها، وعندما نسأل عن أصولهم نجدهم قد قدموا إلى بلاد السراة منذ مئات السنين)[١]. وفي السطور التالية سوف نذكر بعض القبائل أو العشائر القديمة التي استوطنت سروات بلجرشي وما جاورها .

قدمنا في الصفحات السابقة على أن أهل جُرش يُعتقد أنهم انتقلوا إلى بلجرشي، بسبب حروب وصراعات قبلية، وبما أن قبيلة حمير ممن سكنوا جرش القديمة، كما قال ابن خلدون، في تاريخه : (كان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية ملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم مع صنعاء سنحان ونجران وجرش)[٢]. فإني أرجح انتقالهم إلى بالجرشي الحالية أو ضواحيها، [٣].

وقبيلة خثعم من القبائل المعروفة قديماً وحديثاً في المنطقة، وكثير من المواضع الجغرافية تنسب لهم، فجبال بارق وشن وحزنة وشكر وهضبة بعطان، هي في الأصل من ديار خثعم، أما تواجد كثير من القبائل بينهم اليوم فلم يكن إلا بعد حادثة انهيار سد مأرب باليمن، والأزد ومنهم غامد وزهران قدموا بعد انهيار السد كما قال ياقوت الحموي في " معجم البلدان " (أقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال السراة وما ولاها أو قاربها من البلاد في جبل يقال له شن وجبل يقال له بارق وجبال معهما حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ وتفرقهم في البلدان فقاتلوا خثعماً فأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم عن مساكنهم ونزلها أزد شنوءة غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد فظهر الإسلام وهم أهلها وسكانها)[٤]. ومن الطبيعي أن تكون بعض الأسر المتواجدة في بلجرشي هي في الأصل من خثعم .استقرت بها للتجارة وطلباً للرزق .

قبيلة شمران : وتقع جنوب بلجرشي، بل إن العمران متصل والتواصل دائم، وهي من قبائل جنب كما قال السمعاني في " الأنساب " : " الجنبي بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذه النسبة إلى جنب قبيلة من اليمن ينتسب إليها

---

(١) ابن جريس، غيثان، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص ٢٧٢ .

(٣) الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ٢٠٨ .

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٩ . قبيلة خثعم من القبائل العريقة المذكورة في كثير من كتب الأنساب، وهي تستحق أن يفرد لها دراسة مطولة في كتاب علمي، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يطلعنا معاشر الباحثين على مادة علمية قيمة عن هذه القبيلة العربية الماجدة . (ابن جريس) .

جماعة من حملة العلم" وذكر المبرد في كتاب مختصر نسب عدنان وقحطان " أن جنباً عدة قبائل وهم الغلي وسنحان وشمران وهفان ومنبه والحارث بنو يزيد بن حرب بن علة هؤلاء الستة يقال لهم جنب "[١]. وكما قال ياقوت في " معجم البلدان " : (مخلاف جنب باليمن ينسب إلى القبيلة وهي منبه والحارث والعلي وسنحان وشمران وهفان يقال لهؤلاء الستة جنب وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك أدد وإنما سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة)[٢]. ونظراً لقرب ديار قبائل شمران من بلجرشي، فإن بعض الأسر المقيمية في بلجرشي، تعود بأصولها إلى هذه القبيلة، من أشهرها أسرة (آل بن زومة) من خيرة أهل بلجرشي مقيمون في دار السوق ويفخرون بانتسابهم إلى شمران).

وقبيلة بني عُمر : وهم بني ناشر العمريون أو العامريون الذين يسكنون القرى الواقعة على خط الشعاف، شفا بلجرشي، قال السلوك إنهم يعودون في زهران، وأحمد قشاش قال إنهم يعودون في بني شكر الأزدية أخت بارق ونقل قوله من أن شكر أخت بارق عن ياقوت الحموي، والأخير جغرافي وليس نسابة، وإبراهيم الحسيل اكتفى بقول أحد أبناء بني ناشر أنهم من بني عُمر. ومع احترامي لهذه الآراء؛ فأعتقد أنهم عدنانيون من بني شكر بن عامر بن كعب بن صعصعة، وبعضهم انتسب إلى غامد، وآخرون اتخذوا من أسماء القرى ألقاباً لهم كالغيلاني والمصنعي والحزنوي وغيرهم . ويقطن جزء منهم قرى الشعف في بالجرشي، كما قال أحمد بادي " من بلدة غيلان " في رسالته لإبراهيم الحسيل، نشرها بالجزء الثاني من كتابه " غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان " قال: (قبيلة بني ناشر بطن من بني عُمر منهم جزء في السراة وجزء في تهامة، من أبناء ناشر في السراة، ذبيان صاحب قرية حزنة، وثور صاحب قرية غيلان، وسويد صاحب قرية المصنعة، وسمحان صحب قرية الربقة، وأن أهالي هذه القرى هم أحفاد أبناء ناشر المذكورين) وكما قال ابن قشاش في مقالته التي مرت بنا . وهناك وثيقة من شيخ بني عمر " بن موالا " يذكر فيها أن قرى المصنعة وحزنة وغيلان والربقة والمعروفون ببني ناشر الغامدي، ليست من غامد وإنما يعود أهلها إلى بني عمر من زهران[٣]. إضافة إلى أن قرى القرنين وشعب الفقهاء ببلجرشي ومطيب

---

(١) السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٩١ .

(٢) انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٧. وأقول يا ابن مغرم أن تذكر أسماء وعشائر متجاورة ومتداخلة، وبدون شك أنه يربطها النسب والمصاهرة، وتستحق البحث والدراسة (ابن جريس) .

(٣) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٢٤٨ في رسالة موجهة من الشيخ محمد بن عبدالله موالا إلى مؤلف كتاب "غامد وزهران ... السكان والمكان ".

والنشـم بين السـراة وتهامة، يعودون إلى بني عمر وهم اليوم ينتسبون إلى غامد بحكم قربهم من بلجرشـي[١]. واسـتيطانهم بالجرشي بسـبب خلاف نشب بين بني عمر من تهامـة وقبيلة غامد الزناد، فأيدت قبيلـة غامد قبيلة غامد الزناد، وأيدت قبيلة زهران قبيلة بني عمر[٢].

وقبيلة غامد: هم من الأزد، وأهل البلاد الأصليون مشاركة مع خثعم، قدموا بعد " انهيار سد مأرب" مع أبناء عمومتهم الأزد، كما ورد في العديد من المصادر التاريخية، وورد ذكر سـيل العرم في القرآن الكريم في قول الله تعالى [فَأَعْرَضُـوا فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ سَـيْلَ الْعَرِمِ]، وحاربوا خثعم إلى أن أنزلوهم ديارهم شـرق السـروات . وهناك رواية تاريخية وردَت في "تاريخ مدينة دمشق " تدل على تواجد الحضارم في جرش[٣]. نصها (عبدالملك بن محمد بن عطية بن عروة السـعدي من أهل دمشـق ولي الحجاز واليمن لمـروان بـن محمد ... بلغ عبدالله بن يحيى الأعور فسـار في نحو مـن ثلاثين ألفاً فنزل ابن عطية بتبالة ونزل الأعور صعدة ثم التقوا فانهزم الأعور فسار إلى جُرش وسار ابن عطيـة فالتقوا فاقتتلوا حتى حال بينهم الليل وأصـبح ابـن عطية مكانه فنزل الأعور في نحو من ألف رجل من أهل حضـرموت فقاتل حتى قتل ومن معه وبعث برأس الأعور إلى مروان، وطالما أنهم تواجدوا في جرش، فلا يسـتبعد أن تكون أسـر منهم قد انتقلت إلى بلجرشـي الحالية . وبعض الأسـر لا تزال تحمل الاسـم الذي يدل على انتمائهم القبلي لتلك الجهات من بلاد العرب . وبعض الأسـر يعودون في الأصـل إلى قبيلة عتيبة، وهي مـن القبائل القوية والعريقة، تحدثت مع أحد أبناء قبيلة عتيبة، وقال: إن في بلجرشـي فرع هاجر وطلب جوار غامد قبل مائتي سنة تقريباً " بداية القرن الثاني عشر الهجري " (الثامن الميلادي)، وسبب انتقالهم حرب جرت بينهم . وهم الدعاجين جهة العتيق . وقريش وبنـي عامر المتواجدون في جُرش انتقلوا إلى بلجرشـي الحالية . وأسـأل أين ذهـب القرشـيون والعامريون بعد اندثار جُرش؟! وأقول إنهم ربمـا " انتقل أحفادهم مـن جُرش إلى بلجرشـي الحاليـة وعرفوا فيما بعد بـ (قريش بلجرشـي، وبني عامر بلجرشـي) " وعلاقتهم لم تنفصـم حتى اليوم، فالوثائق التاريخيـة التي اطلعت عليها والمتواتـر بين الأهالي والشـعراء المعروفـين يؤيدون هذا الـرأي[٤]. وإليكم الأدلة : (١)

---

(١) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) السلوك، علي، غامد وزهران، ص ٩٦ .

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق . ج٣٧، ص ١٠٠-١٠١. ترجمة رقم (٤٢٥٥) .

(٤) أورد الباحث العديد من القصـائد في بحثه وفيها أقوال وروايات تؤيد الصـلة القوية بين سـكان جرش القديمة وبلاد بلجرشي الحديثة، لكنني استبعدت هذه الأشعار لأنها تعود إلى العصر الحديث . (ابن جريس) .

وثيقة تبين الأسماء التي أدت الزكاة الشرعية، وأن بعض العوائل المعروفة في بلجرشي لازالوا يدعون أنفسهم " بني عامر بالجرشي"[١]. (٢) وثيقة تاريخية مهمة تؤكد تواجد القرشيين في بلجرشي وأطلق على زعمائهم (أمراء قريش) . ومختصرها أنه التف أهل بالجرشي يوم الجمعة (١٢١٩/١٢/١٦هـ) بني عامر والبكير والبركة وأهل الركبة والغازي والسلمية والصقاع والمدان والقريع والمكارمة والحصن والحال والمكارمة وأمراء قريش للتشاور في أمر خلافهم مع الشيخ مصبح وأهل الجلحية وانتهى الخلاف بأنها لأهل الجلحية [٢].

وهناك بعض التشابه في الأسماء والألقاب التي تؤكد أقوالنا مثل: (١) تواتر الخبر لدى جزء كبير من أبناء قبائل غامد وزهران أن بلجرشي يقال لها (بلجرشي قريش) ويذكر الحسيل أن (المفهوم العام عند غامد وزهران والمجاورين لهم من القبائل أن بلجرشي فخذ من غامد ويقال لبلجرشي قريش. لا أدري لماذا نسب إليهم هذا الاسم وليس لهم أي صلة بنسب قريش القبيلة سكان الحرم) [٣]. (٢) هناك بعض الروايات من كبار السن أن أهل بلجرشي هم المعنيون بالرواية التاريخية حول فتح " جُرش" كما في قول الحسيل: (بلجرشي يدعون كابراً عن كابر أنهم أصحاب القصة المذكورة في كتاب السيرة النبوية وكتبِ التاريخ والتي تتعلق بإسلام صرد بن عبدالله الأزدي وقتاله أهالي جُرش) [٤].

رابعا: بعض النظريات الاجتماعية وموافقتها لصفحات من تاريخ بلجرشي الحضاري :

كون الجرشيون مجتمعاً حضرياً قوياً من الناحية الاقتصادية في مكانهم الحالي بلجرشي. فهل يُعقل أن تكون هذه الحضارة قد نشأت دون تراكم معرفي وعمق تاريخي ؟! وأين المؤرخون عن حاضرة كهذه لم يُشر أي منهم إليها ؟! وقد ذكرنا سابقاً أن المجتمع القديم في جُرش الأثرية سادته حياة استقرار وتنوع اقتصادي، واتقن أهله المهن اليدوية حتى صار وجهة الطلاب ممن يرغبون تعلم المهن ؛ فطالما أنهم استطاعوا إقامة حضارة قوية في بلدتهم المندثرة، فيمكنهم إقامة حاضرة جديدة، وإعادة تحريك

---

(١) الوثيقة المشهورة وجدت صوراً منها مع عدد من الناس ممن وردت أسماء لأجدادهم فيها .

(٢) عثمان، أحمد سالم . ألوان من تراث غامد وزهران، ص ١٥٧. وثيقة مصورة .

(٣) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٣٧ . هذا القول ينقصه الدليل القاطع وما ذكره الأستاذ الحسيل وجهة نظر لا تقوم على دليل أو مصدر موثوق. وهذه الرواية مازالت تحتاج إلى دراسة وبحث أعمق . وأقول إن ما وثقه الأستاذ عبدالله بن علي المغرم في هذا المحور لا يخلو من الأقوال والآراء المنطقية الجديرة بالتوقف والتأمل، وآمل منه أو من أحد الباحثين والمؤرخين الجادين في بلاد غامد أو بلاد عسير أن ينظر في هذه المدونات ويدرسها دراسة أطول وأعمق مع الحرص على العثور على براهين قوية تؤيد أو تنقض ما أورده هذا الباحث في هذه الورقات . (ابن جريس) .

(٤) الحسيل، المرجع نفسه، ص ٣٣٦. ٣٣٧ .

عجلة النشاط الاقتصادي التي توقفت تماماً بعد خروجهم من بلدهم، فاتصالهم تجاوز المناطق المجاورة إلى مدن بعيدة كالبصرة على سبيل المثال فالبصريون كانوا يكثرون التردد على جُرش كما أشار غيثان بن جريس في دراسته العلمية عن جُرش، وكانوا تجاراً لجملة في المنتجات الجلدية ونقلوها من جُرش إلى كافة الحواضر العربية[١]. وبالنظر إلى الأعمال المهنية في بلجرشي نجد أنها تتشابه مع الأعمال المهنية في جُرش الأثرية فالموضعان اشتهر أهلهما بالتجارة والصناعة، والحسيل أشار إلى تجمع التجار قديماً في بلجرشي ذاتها وأنهم من قبائل مختلفة في قوله : " للتجمع التجاري وتجمع أصحاب الحرف في بالجرشي السبب الذي جعل منها منطقة آهلة بالسكان في مختلف مناطقها واستقروا باستمرار الإقامة عبر العصور، وانتسبوا إلى بلجرشي ولا نستطيع أن نفرق بين هؤلاء السكان. ونقول : هذا من قبيلة كذا، وهذا من قبيلة كذا، فالكل يجمعهم اسم بالجرشي، ومنهم علماء وأدباء وأعيان، وشخصيات بارزة لهم مكانتهم في المجتمع كذلك علماء الاجتماع اتفقوا جميعاً على أنه لا يمكن أن يتحول مجتمع بدائي في ثقافته إلى مجتمع " حضري صناعي" ذو ثقافة متنوعة، إلا بعد زمن طويل يتم فيه تكرار واعتياد نقل الثقافة من جيل إلى جيل . والثقافة هنا تشمل سبل المعيشة وتنوع المهن وتعقد العلاقات الإنسانية ويطلق على هذه العملية مصطلح " المتصل الريفي الحضري" وتعريفه : (مجتمعات محلية تتدرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية إلى الحضرية، وفقاً لعدد من الخصائص، وأن التدرج يصاحبه اختلافات أو فروق متسقة في أنماط السلوك) [٢]. وأي مجتمع إنساني ينشأ على أساس قوانين اجتماعية عرفها علماء الاجتماع كمصطلحات علمية، منها مصطلح " امتزاج ريفي حضري" وهو : (اندماج الحياة الريفية والحضرية من خلال انتشار السكان الحضريين في المناطق الريفية، وما يترتب على ذلك من نمو الأطراف الكبرى أو المناطق الحضرية الريفية المختلطة التي لا تعتبر ريفية أو حضرية خالصة) [٣]. وبما أن الامتزاج قائم مع الاتجاه إلى التحضر، فإن هذا يعني دخول عنصر متحرك (ديناميكي) جديد على عنصر ثابت (استاتيكي) ليثبت مصطلح " التحضر " الذي نصه : (ظهور بعض الممارسات الثقافية المرتبطة عادة بالمدينة في المنطقة الريفية معناه أن هناك شواهد تدل على أن السكان الريفيين يشهدون عملية تحضر) [٤].

---

(١) ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج١، ص ٢٠٧ .

(٢) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٨٩ نقلاً عن شالين جالين .

(٣) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٤٩٩.

(٤) غيث . محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ص٣٩٤، نقلاً عن شالين جالين .

البناء الاجتماعي في بلجرشي ومصادر ضبطه :

البنـاء الاجتماعـي تفاعل مسـتمر بين أنسـاق اجتماعيـة متعددة، والأنسـاق هي ظواهر اجتماعية كالعلاقة مع الأبناء والأقارب وتعتبر ظاهرة اجتماعية أسرية قرابية، وفي المقابـل فإن العلاقة بين التجار والمسـتهلكين، تعتبر ظاهرة اجتماعية اقتصـادية . والعلاقة بالمؤسسـات الدينية، أيضـاً ظاهرة اجتماعية دينية . عندما يبرز نسـق معين من هذه الأنسـاق يفرض أفكاره ومعتقداته عليها، مع المحافظة عليها للتوازن[١] . وذلك يؤدي إلى سقوط رأس البناء ومن ثم انهياره ولذا يحاول النسق المسيطر بقدر المستطاع الموازنة بواسطة مصادر ضـبط اجتماعية، وهي تشريعات وقوانين لها قوة جزاء مادية كالحبس أو الغرامة أو الحجز على الأموال، والوصـول إلى مصـادر الضبط الاجتماعي فـإن أي مجتمـع غالباً ما يكون تحت إحدى ثلاث بنـى اجتماعية، هي: (١) نظام ديني يحكم مجتمعاً متديناً، يرأسـه رجل مشـهود له بالصـلاح ويعتمد علـى قواعد وتعاليم وتشـريعات سماوية من آمن بها واتبعها لا حق له في رفضها أو العودة عنها ولا جدال إلا في تفسيرها وقياسها بما ينص عليه المذهب المتفق عليه (٢) نظام قبلي يحكم مجموعة ذوي أصول واحدة، يرأسه شيخ قبيلة . ويعتمد على قواعد عرفية وعادة القاعدة العرفية تنشأ بالتكرار واتباع سلوك معين يعتقد الأفراد أنه الأفضل فيصبح لازماً، ويتطلب زمناً طويـلاً لثباته[٢] .ومع مرور الوقت يتحول ليصـبح قانوناً ملزمـاً متى ما اكتملت أركانه، والجهل به لا يعفي من العقاب كما في النص القانوني القائل: (العرف باعتباره متولداً عـن اعتياد الناس على نوع معين من السـلوك مع الاعتقاد في لـزوم اتباعه يعتبر معبراً عن إرادة الجماعة، ولهذا السـبب كان العرف أسـبق في الظهور باعتباره من مصـادر القانـون والأنظمـة[٣] . والعـادة يجب أن يتفـق الغالبية على قبولها كمـا ورد في النص القانوني القائل : (لا تكون العادة ملزمة إلا بالاتفاق عليها) [٤] . والقواعد العرفية تثبت بالاقتناع والقبول لما تواتر إليهم من الآباء والأجداد وتعريف الأحكام العرفية في المصادر القانونية : هي كل عادة أو تقليد تعارف عليه المجتمع وأصـبح قانوناً اكتسـب قوة بعد أن توارثه الأجيال ولرئيس الجماعة إيقاع الجزاء على من يخالفه . (٣) نظام دولة يحكم مجتمعاً متحضـراً، يرأسـه ملك أو رئيس ويسـاعده برلمان أو مجلس نواب، ويعتمد على قواعد قانونية مدنية وضعية قد تكون مستوحاة من التعاليم الدينية والعُرف والعادة .

---

(١) السيف، محمد، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، ص ٣ .
(٢) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة . ص ١٢٣ .
(٣) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة، ص ١١٤ .
(٤) عمران، محمد . الوسيط في دراسة الأنظمة، ص ١١٩ .

وهذه الأنظمة الاجتماعية الثلاث هي الأقوى من حيث فرض تشريعاتها، والمتعارف عليها بين الجماعات الإنسانية، إلا أن المجتمع الجرشي قبل انضمامه تحت لواء حكومة المملكة العربية السعودية لم يعتمد أياً منها ليضبط علاقات القرى فيما بينها . وإذا حللنا البنى الاجتماعية الثلاثة مقارنة بوضع المجتمع الجُرشي، سنجد الآتي: (أ) النظام الأول رجاله لم يكن باستطاعتهم فعل شيء سوى النصح والإرشاد، ويُطلق على الفرد منهم " الفقيه " أو " المطوع " ويستمدون قوتهم من الله أولاً ثم من الحاكم إذا كان ملتزماً، ورغم أن الدولة السعودية الأولى والثانية قامتا على مبدأ سيادة النظم والشرائع الإسلامية وتطبيقها، إلا أن أعداءها توالوا عليها، لكنه عاد وبرز عند انضمام بلجرشي إلى الدولة السعودية الثالثة ووجد تأييداً ومساندة شعبية، فنشأت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجهاز قوي استطاع تغيير كثير من العادات والتقاليد التي لا تتوافق مع الشرع[١]. (ب) النظام الثاني مفقوداً كون الجرشيين أقاموا في بلاد غامد بالحلف، وإذا نظرنا إلى تكوين المجتمع الجرشي وجدناه مكوناً من قرى مستقلة نشأ في كل منها نسق اجتماعي قرابي بسيط ناتج عن المصاهرة بين عدة عوائل صغيرة كونت فيما بينها ما يسمى بـ (اللحمة أو اللحام) [٢] وتلقب بعض الأفراد بمسمى قريته كنوع من الاستقلال، ومن خلال هذا النسق نشأت مجموعة من الأعراف والعادات تمارس داخل القرية ولها عقاب جزائي ومعنوي يشرف على تنفيذها رئيس القرية (العريفة) فيدعو المخطئ إلى الاعتذار ودفع تعويض للمتضرر أمام مجتمع القرية وفي مناسبة يُدعى لها الجميع وإذا رفض دعا مجتمع القرية إلى نبذه ورفض التعاون معه ويصل الأمر إلى حد عدم دخول داره أو مصاهرته[٣]. (ج) النظام الثالث مفقود، لأن الدولة المتعددة السابقة التي ضمت الجرشيون تحت لوائها لم تكن مؤثرة، فكل من الأشراف أو الأتراك أو آل عائض أو الأدارسة لم يستقر حكم أي منهم بشكل متواصل حتى يمكن أن يصدروا قواعد وقوانين تنظم وتضبط أسلوب الحياة اليومية . وانحصر اهتمامهم في تحصيل الزكاة، ولم تصرف تلك الإيرادات في مصارفها الشرعية كالاهتمام بالنواحي الاجتماعية و التعليم والصحة وغيرها [٤].

---

(١) أشكرك يا أستاذ عبد الله على هذا الطرح العلمي، وآمل أن تجري بحوثاً أطول وأعمق على تاريخ وحضارة بلادك غامد، أو بلجرشي . (ابن جريس) .

(٢) اللحمات : المقصود بها التلاحم أو الالتصاق بين الجماعات .

(٣) هذه عادات وأعراف عرفها ومارسها عموم سكان تهامة والسراة، وهي جديرة بالدراسة والبحث في عدد من البحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٤) هذه القوى السياسية التي أوردها الباحث في متن دراسته هي إمارات ودويلات إدارية وسياسية مدت نفوذها على عموم بلاد السروات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهي مدروسة ومبسوطة في العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة . (ابن جريس) .

إذاً ما هو النسق الاجتماعي البارز والمؤثر الذي من خلاله تواءم المجتمع الجرشي وكون بنيته واستطاع به أن يضبط علاقاته الاجتماعية قبل الحكم السعودي ؟! والجواب هو: النسق الاقتصادي الاجتماعي . قلنا إنه إذا نما نسق اجتماعي معين فإنه يفرض أفكاره على باقي أنساق البناء الاجتماعي، فعلى سبيل المثال، إذا برز النسق الاجتماعي التعليمي سنجد المجتمع تحول تلقائيا إلى الاهتمام بالنشاط العلمي (جامعات، مدارس، مكتبات، مراكز ثقافية، مدرسون وعلماء وأعمال أدبية) لكنه سيكون في حاجة إلى النسق الاجتماعي الاقتصادي لإدارة هذا النشاط (بناء مراكز علمية ودفع أجور وتمويل أبحاث) وفي حاجة إلى النسق الاجتماعي الديني لمجابهة الأفكار غير المناسبة وبما أن النسق الاقتصادي الاجتماعي أو بمعنى أصح " الرأسمالي " هو البارز في بلجرشي، فإن معتقداته وقيمه طغت على البناء الاجتماعي الجرشي، وهذا الرأي تسانده نظريات كثير من علماء الاجتماع ومنهم المنظر الماركسي " جولوكاش " في قوله : (عند استيلاء النظام الرأسمالي على السلطة يعيد صياغة جميع تفاصيل الحياة الاقتصادية، ويصبح كالساعة، والمنظم الأكبر للسيرورة، وينبغي على الأنماط المخالفة له إما أن تتمثل به أو أن تعارضه [١]، وفي هذا تأكيد لرأي رجال القانون الذين أكدوا على أن الفكر الاقتصادي يؤثر على النظام القانوني السائد[٢]، كما أنه من المتعارف عليه عند علماء الاجتماع أن الحي التجاري يثير في سكانه آداباً وتقاليد ومعتقدات من النوع السائد فيه، فالتصرفات المعتادة تؤثر على المدى البعيد في قيمه ومعاييره وأنماط سلوكه[٣] وبالتالي فإنها تصبح عادات وتقاليد يتوارثها الأجيال حتى تتأصل وهذا ليس ببعيد عن رأي المفكر الفرنسي " مونتيين " الذي قال بعد قرنين من ظهور المفكر العربي المسلم ابن خلدون : (تتولد قوانين الوعي من التقاليد، وليس كما يقال من الطبيعة، فكل فرد منا يحترم داخليا الآراء والعادات التي تجد موافقة وتقبلا ممن حوله كما أنه لا يستطيع تجاوزها دون توبيخ ضمير أو تطبيقها دون ارتياح نفسي يغمره[٤]، وإذا نظرنا إلى مكانة الفرد والأسرة في هذا النسق الاجتماعي، سنجد أنها تتأثر بالمستوى الاقتصادي والقدرة على الإنتاج وتؤثر بالتالي على أسلوب الحياة من حيث نوع المسكن والتعليم والتربية والدين والعلاقات .

---

(١) معتوق، د. فردريك ود .عبد الباسط حسن، علم اجتماع المعرفة . ص ١٣١، نقلاً عن كتاب (التاريخ والوعي الطبقي) سنة (١٩٢٢م) للمنظر الماركسي المجري الأصل جولوكاش .

(٢) عمران، محمد، الوسيط في دراسة الأنظمة . ص ٢٨.٢٩ .

(٣) خاطر . أحمد مصطفى . الخدمة الاجتماعية . ص ٣٠٥

(٤) معتوق . د . فردريك و د. عبد الباسط، ص ٢٥ نقلاً عن كتاب (المحاولات) للمفكر الفرنسي ميشال دي مونتيين (١٥٣٣-١٥٩٢م) .

وهـذا النسـق الاقتصـادي في حاجة إلى النسـق الاجتماعـي التعليمي لإخراج كـوادر قادرة علـى القراءة والكتابـة والإدارة، ويحتـاج إلى النسـق الاجتماعي الديني ليحكم العلاقات من الناحية القانونية والشـرعية وينشـر نوعـاً من الطمأنينة، وكذلك النسـق الاجتماعي الأسـري ليوفر الراحة النفسية لرب النشـاط ويولد منافسة شريفة بـين كل أسـرة وأخـرى . وكل نسـق اجتماعـي له مركز ورجـال يديرونـه . ولا يجب أن نتجاهل دور سـوق السـبت في حاضرة بلجرشـي كونه يتوسـط قرى السلمية والحصن ودار السوق، وهو سوق كبير دائم يقع على ضفاف وادي سيل، ويكثر فيه الباعة والزوار، لأن أصـحاب الدكاكين والتجار الكبار موجودون طوال أيام الأسـبوع، لأن سوقهم يعتبر المركز الرئيسي للأسواق المحلية القائمة في المنطقة ولديهم القدرة على استيراد بضائع جديـدة من أماكن بعيدة وتصـدير الفائض من منتجات المنطقـة، وتتوفر به المنتجات الزراعية والصـناعية والكماليات بكافة أنواعها وبعض أهالي القرى البعيدة التي يقام بها أسواق ينتظرون يوم سبت بلجرشي لجلب بضائعهم وبيعها بسعر أفضل[١].

وتجار بلجرشـي يصـدرون ويسـتوردون بضـائعهم مـن وإلى مكة وجـدة وبور سودان وعدن والمخا وسواكن ومصوع وزيلع وكل تلك المناطق أصبحت مهجراً للجرشيين بعد أن سـيطرت عليها الدولـة العثمانية . حيث قرر العثمانيون احتلال سـواحل البحر الأحمـر في الجانب الإفريقـي، بأمر ازدمر باشـا والي اليمن سـنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) للقضـاء علـى آمـال البرتغاليين في السـيطرة علـى أي مـن مرافئ البحـر الأحمر[٢]. وبحكم سـهولة الانتقال داخل نطاق دولة واحدة، تواجدً بعض أبناء الأسـر الجرشـيون ويتـم البيع والشـراء بواسـطتهم ويخبرونهم بأسـرار الأسـواق العالمية كنفـاد المؤن أو زيادة أسـعارها أو انخفاضها، واستفاد الجرشـيون فائدة عظيمة من عملية الاستيراد والتصـدير، لأنهـا تحتـاج إلى حنكة وخبرة وعلاقات قوية للشـراء والبيـع، ومال لدفع نفقات الحماية والنقل والتخزين، وأشـار ابن خلدون إلى ما يشـابه هذا الأمر في قوله : (نقل السـلع من البلد البعيد المسـافة أو في شـدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة

---

(١) يـا أسـتاذ عبـدالله المغرم هذه وجهة نظرك حول النظريات التي أشـرت إليها، وقد يظهر مـن أبناء غامد وبلاد السـراة من يعارضـك في هذه الآراء والأقوال المدونة في هذه الدراسة . أما الحديث عن سوق السبت الأسبوعي في بلجرشـي فهو موضـوع جيد ويستحق أن يدرس تاريخياً وحضـارياً خلال القرون الهجرية الثلاثة الماضية . بل إن الأسواق الأسبوعية في بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى نجران تستحق أن تدرس في مئات الكتب والبحوث العلميـة، وآمل مـن الجامعات المحلية في هذه البلاد، وأيضـاً المؤرخـين والباحثين الجادين أن يدرسـوا مثل هذه الميادين الحضارية المهمة (ابن جريس) .

(٢) عبد المعطي، حسـام محمد، العلاقات المصـرية الحجازية في القرن الثامن عشـر (رسـالة ماجستير) ص ٨٢، هامش ٥٢.

للتجار وأعظم أرباحاً وأكفل بحوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أكثر الناس أموالاً لبعد طريقهم ومشقة واعتراض المفازات الصعبة المحفوفة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدي إليها أدلاء الركبان فلا يركب خطر هذا الطريق وبعده إلا الأقل من الناس) [١].

وكانت البضائع المستوردة من مكة وجدة يتم نقلها عبر طريق الساحل المحاذي للبحر الأحمر حتى تصل المخواة، أما ما يُجلب من الموانئ الخارجية فيستقبلونه في ميناء البرك والقحمة والقنفذة والأخير كان الأقرب والأضمن لهم رغم الأخطار التي تتعرض لها قوافلهم أحياناً في أوقات الفتن، فمرفأ القنفذة نشط تجارياً من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ولم يسلم من محاولات الضم المتكررة من قبل الحكام، ففي سنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) تعرض لمحاولة تخريب ونهب من قبل أحد الحكام الأشراف كما في "تاريخ اليمن": (جاء الخبر أن أصحاب حمود غزوا بندر القنفذة وأرادوا انتهابه فحرقوا أطراف البندر ودافعهم أهلها فانكسروا بعد أن ذهب بالقتل ثلاثة أنفار) [٢]. وكذلك استولى قائد الجيش السعودي عثمان المضايفي، ميناء القنفذة التابع لشريف مكة غالب سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) [٣].وإذا كانت الأوضاع كالمعتاد فإن القوافل الجرشية حال خروجها من مرافئ القنفذة والبرك والقحمة، يتولاها مشائخ القبائل بالحماية من السلب والنهب نظير مبالغ متفق عليها، إلى أن تصل المخواة يوم الثلاثاء ويقام هناك سوق للقبائل التهامية خاصة بني عُمر ويستمر إلى يوم الخميس ويغذي أسواقهم الأسبوعية بالبضائع . وبعد أن ينتهي سوق المخواة تصعد القوافل الجرشية عقبة حميد[٤] حيث يتم تخزينها في مستودعات التجار استعداداً لعرضها صباح يوم السبت[٥]. ومن هنا أخذ اسمه حيث أن وصول القوافل من

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٣، الباب الخامس، الفصل الثاني عشر، "في نقل التاجر للسلع"

(٢) الصنعاني، ابن الوزير، عبدالله، تاريخ اليمن، ج١، ص ٢٣٠ .

(٣) الزيد، إبراهيم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) مج ٧ صادرة (١٤١٤هـ) مقال(عثمان المضايقي أمير المظليف والحجاز في الدولة السعودية الأولى) . ص ٩٩ .

(٤) عقبة حميدة سميت بهذا الاسم لمرورها من قرية حميدة الواقعة أسفل العقبة، تصعد عبرها قوافل الجمال والحمير محملة بالبضائع ويبلغ ارتفاعها أكثر من (٢٠٠٠) متر عن سطح البحر .

(٥) حكى لي أحد كبار السن أن أهالي بلجرشي كانوا ينزلون إلى سوق خميس المخواة في تهامة يوم الأربعاء ويعودون بعد ظهر الجمعة ليحضروا تجمع القوافل الجرشية في سوق السبت .

المخواة يوم الجمعة وعرضها يوم السبت، جعلته سوقاً مشهوراً ونمت أموال القائمين عليه وجعلتهم من كبار وجهاء المنطقة، ولهم الكلمة النافذة ولم يكن هناك منافس قادر على الوقوف أمام هذا الطوفان، لأن كثيراً من الأمور القبلية التي تخفى على العامة كانت تدار بالمال .

والنسق الاجتماعي الاقتصادي هو كأي نسق آخر يفعل المستحيل للمحافظة على قوامه، فهو من تولى قيادة البناء الاجتماعي الجُرشي ونظم العلاقة بين الأنساق الاجتماعية الأخرى، وساعد على إقرار قوانين انبثقت من العرف السائد لتنظيم علاقة المصالح التجارية بين القرى والبلدان المجاورة، وأضفى عليها الطابع الاقتصادي . ولذا لا غرابة في وضوح الدور الكبير لمعاهدات سوق السبت نظراً للقوة الاقتصادية التي يتمتع بها أهالي وادي سيل، ولا غرابة في أنهم أقاموا الحروب ضد بعض القبائل كنوع من الجزاء المادي حين شعروا بخطورة تصرفات بعض أفرادها على نظامهم . كما في حادثة سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) حيث اعتدى رجل على أحد رواد سوق السبت وهو في طريقة إلى قريته، ثم قتل المعتدي من قبل أربعة رجال من بني جرة داخل حمى السوق، بينا شرف وعهد سوق السبت يحمي كل من يرده، فأقام المحافظون على سوق السبت من أهل وادي سيل الحرب على بني جرة، وجمعوا لهم قرى المصنعة وحزنة وغيلان وجبر والهيس والحمران وبني سليمان في تهامة [١].

وإذا توقفنا مع التاريخ الاقتصادي القائم في بالجرشي قبل عصر الطفرة الاقتصادية [٢]. فإننا نجد ابن خلدون يقول: " إن أسباب الرزق أربعة : إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة " [٣].وأشار إلى أن المجتمعات المتحضرة تحتاج إلى عدة مهن كما في قوله : " من البين أن أعمال أهل المصر " أي أهل البلد الواحد" يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الأعمال ويختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه . وما لا يستدعي في المصر يكون غفلاً إذ لا فائدة لمنتحله في الاحتراف به "[٤]. وإذا نظرنا إلى مكونات النظام الاقتصادي الجُرشي، وجدناه لا يختلف عما

---

(١) هذا السرد التاريخي جيد، والموضوعات المذكورة عن النشاطات الاقتصادية في أجزاء من تهامة والسراة تستحق البحث العميق، ونأمل أن نرى من يدرسها في بحوث علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) المقصود بعصر الطفرة الاقتصادية أي من منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس) .

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٣٨٣ .

(٤) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٤١٢-٤١٣، الفصل العشرون .

أشار إليه ابن خلدون فسكانها يمتهنون عدة مهن، منها الفلاحة ممثلة في الزراعة ورعي وتربية المواشي، والصناعة ممثلة في دباغة الجلود وتشكيل الحديد وعمل وتزيين الأثاث والأبواب والمستلزمات الخشبية الأخرى (النجارة) إلى جانب مهن خفيفة أخرى مساعدة، بينما كانت مهنة التجارة " البيع والشراء " محور هذا النظام ومحركه الرئيسي، وسوق السبت مركزه[١].

العصر الصناعي :

ومن أهم المهن والصناعات التقليدية التي مارسها أبناء بلجرشي: النجارة وتشتهر بها قرية المكارمة في بالجرشي[٢]. وهي فن لا يجيده سوى شخص موهوب، امتهنها النبي نوح عليه السلام من قبل، وامتهنها حكماء اليونان . ولابن خلدون قول يخالف رأي الجهلاء من أن صناعة النجارة لا يقوم بها إلا أصاغر الناس مقاما . قال:(هذه الصناعة من أصلها محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الإحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير إما عموماً أو خصوصا وتناسب المقادير لابد فيه من الرجوع إلى المهندس ولهذا كانت أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوقليدوس صاحب كتاب الأصول الهندسية نجارا وبها كان يعرف وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال أن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام " [٣].

ومعظم مستلزمات البيوت في بلجرشي قديماً تصنع من أخشاب العرعر، ورغم أن عمر بعض البيوت يتجاوز الخمسمائة سنة، إلا أن الأخشاب المستخدمة فيها لا تزال متينة وجيدة بل ويمكن استخدامها وكأنها للتو قطعت . والسؤال : لماذا لم تتآكل مع طول المدة؟! الجواب يكمن في سر بسيط، هو وقت القطع فهم يختارون شجرة ذات عمر معين وينتظرون وقتاً معيناً تتعامد فيه الشمس وفي يوم معين من السنة للقيام بعملية الاحتطاب أو قطع الأشجار، بخلاف ذلك فلن يمر عدة سنوات إلا والأرضة أو السوس يبدأ في نخرها. أخبرني بذلك الأستاذ عبدالرحمن بلح[٤] من أهالي منطقة

---

(١) نجد الباحث يورد بعض التفصيلات العامة التي تتعلق بالتجارة والصناعة، ولأن هذه المعلومات الواردة لا تخدم الدراسة بشكل مباشر ولهذا تم حذفها . (ابن جريس) .

(٢) عثمان : أحمد سالم، ألوان من تراث غامد وزهران . ص ١٢٠ القرية معروفة لدي تماماً وأثبت المصدر للتأكيد ليس إلا .

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص ٤١١ .

(٤) عبدالرحمن محمد سالم الغامدي، المعروف بـ عبدالرحمن بلح، ماجستير في الآثار من جامعة سيركيوس، ومدير الآثار والمتاحف بمنطقة مكة المكرمة .له دراسة علمية محكمة بعنوان : (دور الآثار في الحفاظ على المياه) شارك بها في مؤتمر الأمير سلطان بن عبدالعزيز العالمي للمياه الذي أقيم في مدينة الرياض عام (١٤٢٦هـ) وتم قبولها كموضوع نقاش في مجلس وزراء المياه العرب المنعقد في تلك الفترة .

رغدان بالباحة، وهذا سر من الأسرار التي توارثها أهالي المنطقة كافة ويجب دراسته، ثم وجدت إشارة إلى ذلك في كتاب ذي موضوع مختلف قال مؤلفه : (وتنزل الشمس برج الجدي، وفيه يقطع الخشب، وأما الشتاء فله طوبة يقطع فيه الخشب، وفيه عيد الغدير وفيه يقطع قصب الكرم الفارسي، وينهى فيه عن قطع الخشب كيلا يسوس) [١]. وهذا لا يمنع أن تطلى الأبواب والشبابيك بمادة القار أو القطران[٢]. لزيادة الحرص والمحافظة عليها من النخر والتسوس أو التآكل . ومادة القطران مادة سوداء اللون تشبه زيت النفط الخام " وتستخلص من عملية حرق الخشب ويقوم بها أهالي قرية الحريق من قبيلة الهتان [٣].

ومن أبرز الصناعات الخشبية المرزن أو الزافر، وهو عمود من الخشب المتين والقوي وارتفاعه (٢٨٠) سنتيمتراً، وأبعاده طولاً من (٦٠-٩٠) سنتيمتراً، وعرضاً من (١٥-٣٠) سنتيمتراً، وقد يكون في المنزل الواحد أكثر من اثنين تبعاً لحجمه ومساحته . يقف ثابتاً وسط المنزل لقوته إضافة إلى تميزه بالجمال والروعة في التصميم، يزداد طولاً وعرضاً كلما صعدت بنظرك إلى قمته التي تنتهي بنصف دائرة خشبية مزخرفة تسمى الوسادة أو الفلكة، تضاهي مساحتها مساحة قمة العمود مرتين لتستند عليها الأعمدة الرئيسية التي تحمل أعمدة السقف، وتتدلى من نصف الدائرة سلاسل تنتهي بخطافات أو كلابات تعلق فيها أغراض المنزل المختلفة . كما أن الأبواب والشبابيك التي استخدمت في بيوت بلجرشي القديمة عندما تتأملها تلاحظ كما من الزخارف والتشكيلات الهندسية لتظهرها في أبهى صورة، فمن أين لشخص محدود الفكر أن يصنع مثل هذا[٤].

---

(١) الدقاق : محمد . الحكم والغايات في تعبير المنامات . مخطوط ٩ ج١، ص ١٤٧ .

(٢) يستخلص من مادة القطران مادة أخرى تسمى المهل وتستخدم لعلاج بعض الأمراض والعاهات والجرب " المصدر: غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج٢، ص ٦٨ وأضيف إلى ما قاله الحسيل : بأن شخصاً يدعى (محمد الهتاني) أخبرني أنهم لايزالون يمارسون المهنة حتى اليوم ويبيعون الجالون سعة (٢٠) لتر بـ (٤٦) ريالاً سعودياً، ولكل أسرة موضع متعارف عليه في سفوح الجبال .

(٣) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان. ج٢، ص٦٨. أشكرك يا ابن مغرم على هذه المعلومات ونأمل أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ الحرف والصناعات التقليدية في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). (ابن جريس) .

(٤) ياعبدالله المغرم لقد أوردت محاور عديدة جديرة بالبحث والتوثيق، منها البناء والعمارة وبعض المواد المستخدمة في هذه الحرفة، وأيضاً الزخارف والفنون التشكيلية والمعمارية التي مارسها أهالي السروات في صناعة أبوابهم وعمائرهم . كما أشرت إلى مفردات واصطلاحات لغوية محلية، وهي في الواقع ذات أصول عربية صرف . وأقول إن بلاد تهامة والسروات تشتمل على الكثير من الجوانب التاريخية والحضارية الجديرة بالدراسة والبحث والتأصيل . (ابن جريس) .

وتختص مهنة الدباغة بإزالة العفونة والرطوبة النجسة من الجلد[١]. ويستخدم فيها شجر القرض[٢]. وكانت تمارس في بلجرشي بمهنية عالية، واشتهرت بعض الأسر بإتقانها، كونها مهنة رائجة جداً ومربحة نظراً لكثرة أشجار القرض ببلاد السراة عامة، قال ياقوت: (السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن وهذه الجبال تنبت القرض) [٣]، وفي موضع آخر: قال: (السلم في الأصل شجر ورقه القرض الذي يدبغ به) [٤]. وابن منظور، قال: (السلمة شجرة من العضاه ذات شوك وورقها القرض الذي يدبغ به الأدم ويعسر خرط ورقها لكثرة شوكها) [٥]. وفي موضع آخر: (القرض أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب) [٦]. وفي مختار الصحاح: (القرض ورق السلم يدبغ به وقيل قشر البلوط) [٧].

ولم تكن الدباغة من المهن المعيبة، فكتب التاريخ تذكر كثيراً من العلماء والمشاهير ومن بيوت الحسب والنسب، ممن يعملون بهذه المهنة، ومنهم: زينب بنت جحش (رضي الله عنها) زوجة الرسول (عليه الصلاة والسلام) كانت تدبغ وتخرز، جاء في الإصابة: (قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صَناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله) [٨]. وأم سلمة زوج الرسول (عليه الصلاة والسلام) وغيرها من الصحابة وهم أهل شرف ومروءة، كانوا يمارسون الدباغة كمهنة، وابن كثير أشار في " البداية والنهاية " إلى أن أم سلمة حين جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام لخطبتها، قالت: (فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرض وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني إلى نفسي) [٩]. وحفيد أبي بكر

---

(١) الجرجاني، علي، التعريفات، ج١، ص ١٣٨ .
(٢) القرض: أشجار من فصيلة الطلح، أشواكه أنعم وأعواده أصلب، يستخدم وقوداً ويكثر في شرق سراة الباحة . المصدر: ألوان من تراث غامد وزهران، أحمد سالم عثمان . ص ١١٦ .
(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤ .
(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤، ٢٤٠ .
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٠٣ .
(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٤٥٤ .
(٧) الرازي، محمد، مختار الصحاح، ج١، ص ٢٢٢ .
(٨) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٦٦٩ .
(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٩١ .

الصديق - رضي الله عنه - ، كان مدبغياً وقاضياً في مصر، وجاء عنه في المنتظم (هاشم بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرحمن بني أبي بكر الصديق يكنى أبا بكر، مدبغي كان من ساكني الكوفة فقدم قاضياً على مصر من قبل الأمين في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين) [١]. وسلمان الفارسي (t) جاء في تاريخ بغداد عندما ترجم مؤلفه للحارث بن عميرة ولقائه بسلمان الفارسي وهو من الصحابة ومن بيت فارسي حاكم أنه " أي سلمان " يعمل بالدباغة بالرغم من أنه كان والياً على المدائن : (الحارث بن عميرة الزبيدي ويقال له الحارثي يعد في الشاميين سمع معاذ بن جبل وسلمان الفارسي قال قدمت إلى سلمان في المدائن فوجدته في مدبغة له يعرك إهاباً له يكفيه فلما سلمت عليه قال مكانك حتى أخرج إليك) [٢]. وورد ذلك أيضاً في " تاريخ مدينة دمشق " [٣]. وفي الأنساب أشير إلى أن من أشراف بيوت العرب من كان يمتهن الدباغة (سأل معاوية دغفل النسابة أخو بني شيبان بن ذهل ثم من بني عمرو بن شيبان كم بيتاً في غطفان فقال النسابة فيهم بيتان وبيتان، يعني بيت آل زبّان بن منظور وبيت حذيفة بن بدر، فزاريان، وبيت سنان بني أبي حارثة وبيت الحارث بن ظالم، مريان، وبيت الربيع بن زياد وبيت زهير بن حذيفة . عبسيان . قال: وبعد هؤلاء بيت مروان بن زنباع، قال وكان لمروان ثلاثة أسماء مروان الحجاز ومروان القرض ومروان بن زنباع، وسمي مروان الحجاز لأنه أكرم أهل الحجاز وسمي مروان القرض لأنه سيد من دبغ بالقرض) [٤].

ومهنة البناء من الحرف المحلية، والحصون التي على قمم الجبال تتميز بأسلوب فريد في طريقة البناء، فقاعدة الحصن أوسع من قمته لضمان ثباته وطول عمره، ويبلغ طول بعضها أكثر من (٢٠) متراً، وتكمن فائدته في مراقبة المعتدين ومحاربتهم . فمن أين لمحدود الفكر أن يعمل مثل هذا . وبالنسبة لبناء البيوت، فعند البدء في البناء يتم اختيار موقع البيت ويسمى المدرك وغالباً ما يكون قرب الدار القديمة للاستفادة منها وتكون قريبة من بيوت الأقرباء، وبعد أن يتم تسويتها يتم اختيار مكسر قريب للحصول

---

(١) الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ج١٠، ص ٣٥، ترجمة رقم (١٠٧٦) .

(٢) البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٠٥، ترجمة رقم (٤٣٢٤) .

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٤٥٨ .

(٤) السمعاني، أبو سعيد التميمي، الأنساب، ج١، ص ٤٨ . يا أخي عبدالله المغرم أنت تتحدث عن مهنة الدباغة والخرازة . وهي من المهن الرئيسية في جزيرة العرب، وقد شاهدت في العصور الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) بيوتاً عديدة تمارس هذه المهنة في مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران . وهذا الموضوع يستحق الدراسة والتوثيق في عدد من الدراسات العلمية . (ابن جريس) .

على الحجارة اللازمة للبناء من قبل اثنين أو ثلاثة رجال يسمون المكسرة . بتشديد السين. ويستخدمون الفانوس والمطرقة والقراص والعتلة واللغم لتكسير الصفيان[١] . تقسم الدار أو البيت إلى أقسام رئيسية تسمى العيون . ومكونات الدار: القدم : وهي مقدمة الدار وبها مجلس الرجال، ثم العقب: وهي مؤخرة الدار وبها المعلف، والمحلب، أو مكان للحلال وللمطبخ، ثم العلو: ويطلق على غرفة النوم أو مخزون الأشياء الثمينة، ثم السافلة: إذا كان البيت من دورين، والمقصود به الدور الأرضي، ثم السفل: ويستخدم سكناً كمخبأ للمواشي أو مخزناً للأعلاف، ثم الثمة، وتطلق على المساحة التي أمام الباب فيقال" فلان ينتظرك عند ثمة الباب ". ثم المصراع: الباب الرئيسي عادة . وصوتها يسمى صرير المصراع، ثم البداية: وهي النافذة كما نعرفها اليوم، ثم الصُفّة:. بتشديد الفاء. وهي بسطة أمام مدخل العلية، ثم العتبة: وهي مدخل البيت . ويستخدم في البناء الجباهة وهي حجر مستطيل أو مقوس إذا كانت فتحة الباب كبيرة ليخفف الحمل عن الخشب، خاصة . والسدة: باب صغير خلف البيت، ثم يزين البيت من الخارج بما يسمى (الجون) ولا يستطيع استخدامها سوى الأثرياء، ثم العقد: وهو نهاية البناء ويفصل بين هذه البيوت مسارب بعرض مترين . ويستخدم في تسقيف هذه البيوت والمسارب شجر العرعر والسدر، والبعض يستخدم أشجار العتم (الزيتون البري) لصلابته، بينما يستخدم شجر الطلح والزيتون في صنع الأبواب والنوافذ، والأعمدة التي تنقش عليها نقوش رائعة تتلاءم وبيئة المنطقة [٢]، وضمن أسرارهم عملية قطع وتفتيت الصخور، وقد أراد والدي أن ينقل حجراً كبيراً (صفا) ارتفاعه متران وقطره حوالي (٣) أمتار وله أساس في الأرض لم يُعرف عمقه، وجلب عمالاً لتكسيره، وبكل الإمكانيات المعروفة حالياً وحاولوا تفتيته وذهبت جهودهم سدى، فلابد من اللغم وجهاز التكسير الهوائي وما إلى ذلك، إضافة إلى الوقت الذي سيطول بهم . كل هذه المعوقات انتهت بمجرد مجيء أحد كبار السن الذي راقب ما يفعله العمال قبل أن يتدخل ويقترح أن توقد النار في حطب وإطارات سيارات قديمة بجوار الصفا وفوقه

---

(١) الصفيان : مفردها صفا، وسمي صفا لأنه حجر أصم ليس له عروق، وغالباً من الحجارة القوية الجيدة . انظر : أحمد سالم عثمان، ألوان من تراث غامد وزهران، ص٥٧ .

(٢) أشكرك يا أستاذ عبد الله على تدوين هذه المعلومات التاريخية والحضارية، وكم نحن في أمس الحاجة إلى دراسة وتوثيق التاريخ الحضاري لأهلنا وبلادنا. ومن يتجول في أرجاء بلاد السروات وتهامة فإنه سوف يجد عشرات الموضوعات الجديدة في أبوابها وتستحق الدراسة والحفظ . وآمل أن نرى طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية وبخاصة في أقسام التاريخ، والآثار، وعلم الاجتماع، والجغرافيا فيدرسوا حياة وتاريخ وحضارة أوطانهم، وإن فعلوا ذلك فهذا من باب الوفاء ورد الجميل لأهلنا وبلادنا التي منحتنا الشيء الكثير. (ابن جريس) .

لمدة ساعة . ثم يصب الماء البارد فوق قمته . ونفذوا ما قال فتفتت الصخر وأصبح بالإمكان حمله حجراً حجراً . وتُعرف هذه العملية في علم الجغرافيا بالعملية الميكانيكية لتفتيت الصخور. وبالبرودة يتعرض الصخر للإجهاد ويتفتت .

بالرغم من أن الزراعة أصعب المهن فالله يبارك في رزقها، ومنطقة الحجاز الجنوبي عموماً ومنها بلجرشي، تمتاز بخصوبة أرضها ووفرة منتجاتها الزراعية وجودتها، فحتى عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) كانت الممون الرئيسي للمشاعر المقدسة بمحاصيلها، حيث أشار حمد الجاسر إلى هذا بقوله : (لقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل، أما الفواكه فقد كانت وسائل النقل في ذلك العهد لا تتمكن من نقل الفواكه وهي صالحة إلى البلاد الأخرى، فكانت هناك تبلغ درجة من الوفرة بحيث كان كثير منها لا يباع بيعاً، بل تناول منه كل من أراد التناول بدون ثمن) [١]، وابن بطوطة أشار إلى ذلك، قائلاً: (وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فترخص الأسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش، ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم) [٢]. وأشار ابن جبير [٣] حوالي القرن السادس الهجري إلى وفرة خيرات بلاد السراة عامة، حيث أطلق على أهلها اسم السرو[٤]، وذكر أنهم يهبطون مكة ويعم الخير الأماكن المجاورة للبيت الحرام . قال تعالى : [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ][الآية ٢٧ : سورة إبراهيم] . واليوم لم تعد فلاحة الأرض وإعادة استصلاحها من المهن المرغوبة لدى الكثيرين، وكانت النتيجة أن بارت الأراضي وغارت مياه الآبار وقلت كميات الأمطار، وقد يكون فيما قاله ابن بطوطة شيئ من الصحة من أن انقطاع أرزاق أهل السراة عن مكة

---

(١) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران، ص ٣٦٩ .

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٤ .

(٣) رحلة ابن جبير (٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي .

(٤) السرو: لفظ السرو يطلق على جنس شجر من فصيلة الصنوبريات، تشمل السرو والعرعر والعفص . ولفظ السرو يقصد به الفضل، السخاء في المروءة والسروات : الظهر . والسراة: أعلى الطريق ومتنه، وسروات القوم : سادتهم ورؤسائهم، والسراة : الارتفاع والعلو . المصدر : المنجد في اللغة والأعلام . ص ٣٣١ .

المكرمة يصيبهم بالقحط . كذلك ابن خلدون أشار إلى سبب وجيه لهذا الأمر، قال: (الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني كالحال في ضروع الأنعام فما لم يكن إنباط ولا امتراء نضبت وغارت بالجملة كما يجف الضرع إذا ترك امتراؤه وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لأيام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كأنها لم تكن) [١].

خامساً : صفحات من تاريخ بلاد غامد الحديث :

الأحداث والأحوال لم تكن تختلف عما هي عليه في معظم بلدان السراة منذ القدم ولم تخرج عما عبر عنه " ابن المجاور" في قوله : " وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص وكل من أهل القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محيطين بالقصر من أربع ترابيعه، ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها، كبير القدر والسن، وعقل وذو فطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير عليهم، ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجاً، ولا يسلمون قطعة، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طول الدهر على هذا الفن. وجميع زرعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكرم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات . وأكل السمن والعسل، وهم في دعة الله وأمانه، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب " [٢]، وكما أن بلدان السراة تتشابه أرضها في عهد ابن المجاور حوالي سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، فإنها وبعد حوالي (٢٥٠) سنة، لم تتغير كثيراً فقد ورد أيضاً في أحداث سنة (٩٧٩هـ) (وقع القحط والغلاء في أرض الحجاز، وانقطعت المأكولات في الأسواق وهلكت الدواب.. وكثر الموت في الفقراء حتى عجزوا عن أكفانهم) [٣]، وبعد (١٥٠) سنة أشار صاحب كتاب "سمط النجوم "

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون . ص ٤١٩. الباب الخامس، الفصل الأول " في حقيقة الرزق والكسب ...إلخ " (المغرم). يا أستاذ عبدالله أنت ترصد صوراً من تاريخ بلادنا خلال القرون الماضية المتأخرة وأنا وأنت عاصرنا هذا التدهور في الحياة الزراعية، وفي جوانب اجتماعية واقتصادية أخرى. والواجب علينا أن نجتهد في دراسة هذا الموروث وتوثيقه وحفظه حتى يطلع عليه أبناؤنا وأحفادنا، وهذا من واجبهم علينا أن نطلعهم على شيء من تاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا الذين كابدوا الحياة، وواجهوا الكثير من العقبات والمتاعب في ميادين عديدة . (ابن جريس) .

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، (٦٩٠هـ/١٢٩١م) .

(٣) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ)، ص ٩٧، نقلاً عن "السنا الباهر".

في أحداث سنة (١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) عن كثرة الجراد بأرض الحجاز عامة، قال: (سنة سبعين حصل غلاء بمكة وصلت فيه كيلة الحب إلى سبعة عشر محلقاً وسبب الغلاء كثرة الجراد بأرض الحجاز واليمن وأعقبه الدبا فأكل جميع الأشجار والزراعات) [١]. وأشار إلى الجدب والقحط في تهامة وبلاد السراة، وفي موضع آخر قال المكي في سياق أحداث شهر جمادى الأولى من سنة (١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) : (أهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها وغالب أهل القرى والبادية جاءوا إلى مكة هاربين وإلى رب البيت ملتجئين وخاضعين وهم يصيحون الجوع الجوع ويتضرعون وفي الطرقات يتضرعون) [٢] .

هكذا كان حال بلاد السراة عامة تنقطع الأمطار وما أن يحل الجفاف حتى يهاجر بعض أبناء المنطقة إلى البلدان المخصبة طلباً للرزق، أو تكثر أعمال النهب والسلب الفردية، فكل يريد أن يسلم بنفسه وأهله، ومن الطبيعي أن تهيج الفتن [٣]، وسأركز هنا على أحداث بلجرشي وما جاورها ابتداءً من سنة (١١٩٣هـ/١٧٧٩م) وإلى ما قبل انضواء البلاد تحت راية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، حيث نعمت بالأمن والسلام والخير، وطبقت الشعائر الإسلامية الصحيحة . وسوف أعتمد على بعض المصادر والمراجع المطبوعة بالإضافة إلى المقابلات الشخصية مع بعض كبار السن والعارفين لبعض الأحداث الماضية .

في السابق كانت الحروب المحلية في بلجرشي تندلع شرارتها في أي وقت ولأي سبب كان، وقد وصف الشيخ المنصوري[٤]، أحوال بعضها، فقال: في سنة (١١٩٣هـ)

---

(١) المكي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي . ج٤، ص ٤٧٥ .

(٢) المكي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم العوالي . ج٤، ص٥٠٦-٥٠٧ . يا عبد الله المغرم أنت تذكر شذرات من تاريخ بلاد تهامة والسراة في العصر الإسلامي الوسيط وبدايات العصر الحديث، ومن يبحث في كتب التراث الإسلامي المختلفة عن تاريخ هذه الأوطان وبخاصة المجاعات والكوارث البشرية والطبيعية فإنه سوف يعثر على مادة جيدة في هذا الباب، وآمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع دراسة علمية أكاديمية موثقة . (ابن جريس) .

(٣) من يتأمل في تاريخ تهامة والسروات من القرن (١٢.٣هـ/١٨.٩م) فإنه يجد فراغاً كبيراً عن تاريخ وحضارة هذه البلاد، ومن يجهد نفسه ويطالع كتب التراث الإسلامي المختلفة فإنه يجد فيها لمحات ونتفاً قليلة جداً، ولا يستطيع الباحث أن يخرج بصورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد، ونأمل أن نجري بعض التنقيبات والدراسات الأثرية في بعض المدن والحواضر القديمة في هذه البلاد لعلنا نجد شيئاً من تاريخها المفقود . (ابن جريس) .

(٤) محمد بن عبدالله بن أحمد المنصوري . ينتهي نسبه إلى بهاء الدين النقشبندي ثم إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب t، ولد سنة (١٢٣٣هـ) بقرية المصنعة ببلجرشي، وتوفي سنة (١٣٢٢هـ) بقرية المصنعة ببلجرشي، درس في اليمن وأقام بها عشرين سنة لطلب العلم، وتولى القضاء في غامد وزهران ،وأجرى سنة (١٢٦٩هـ) صلحاً بين أمير عسير عائض بن مرعي، وعبد المطلب بن غالب بن مساعد، أمير مكة . المصدر: تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ) محمد المنصوري، تحقيق: إبراهيم الزيد، ص٧ .

حصل فيها غلاء وقحط وسميت الحطمة لأن الناس صار يحطم بعضهم بعضاً، وفي سنة (١٢١١هـ) سميت عام المجدول لأجل الغلاء الذي لم يبق مع الناس إلا المجدول[١] ونفهم من قوله أن القحط وغلاء الأسعار أدى إلى حدوث صراع بين الناس للبقاء على قيد الحياة، لكن عند وصول الحكم السعودي الأول ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى المنطقة عام (١٢١٢هـ/١٧٩٧م) عم البلاد الأمن رغم أن الأسعار كانت لا تزال مرتفعة نتيجة سوء المناخ، كما قال المنصوري : سنة (١٢١٣هـ و ١٢١٤هـ) أخذ الصيف " الضريب" وحصل فيها غلاء في الأسعار وعم الغلاء الشام إلى اليمن حتى وصل فيها السعر ثلاثة أمداد، والذرة خليفي خمسة أرباع[٢].

ومن سنة (١٢١٤هـ/١٨٩٩م) وإلى ما قبل سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٤م) كانت الأوضاع هادئة سوى ما ذكر عن استيلاء قائد الجيش السعودي عثمان المضايفي، على ميناء القنفذة التابع للشريف غالب "أمير مكة" سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م)[٣]. والعلاقة هنا هو أن للسعوديين أولوية في أمرين وهما فرض الشريعة وتأمين البلدان والطرقات، وعليه فقد استقرت الأوضاع إلى أن تدخلت القوات المصرية بأمر الدولة العثمانية للقضاء على الدولة السعودية، فأرسل محمد علي باشا "والي مصر" جيوشه إلى المنطقة عام (١٢٣٠هـ/١٨١٤م) ولم يفعل بادئ الأمر شيئاً إذ حقق الجيش السعودي بقيادة بخروش بن علاس الزهراني، نتائج جيدة لكن الجيش المصري انتصر في نهاية الأمر نظراً لأنه مزود بمعدات عسكرية متطورة حينذاك . وبعد أحداث تلك الحرب استطاع الأهالي تجاوز آثارها بفضل الله ثم بفضل ما تنعم به المنطقة من مناخ ممطر وأرض خصبة، وعندما نقول "آثارها" فليس مهماً أن تكون البلدان قد تعرضت للدمار أو أن لها مشاركة مباشرة لكن المتعارف عليه أن المستفيدين من الحروب يكونون قلة وأرباحهم تكون هائلة، بينما غالب أفراد المجتمع تتوقف أنشطتهم التجارية وعليهم المساهمة في تموين الجيش إن تعرض لنقص في إمداداته وهم يقدمون ذلك مجاناً بدافع وطني بحت، إضافة إلى أن الحروب توجد القلق والترقب بين الأهالي ولها بعض الآثار السلبية، وقد هطلت الأمطار الكثيرة المسماة في عرف أهل الحجاز عام "أبوصواب" [٤]. ونقل محقق كتاب المنصوري في الهامش عن مسعود بن حجر أنه قال: (إن المطر في عام (١٢٣٠هـ) ولكن ظهر في

---

(١) المنصوري . محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ)، ص ٣٧ .

(٢) المنصوري . محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١هـ)، ص ٥٣

(٣) الزيد . إبراهيم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) مج ٧ صادرة (١٤١٤هـ) مقال : عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى) . ص ٩٩ .

(٤) المنصوري، محمد، تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ - ١٣١١هـ)، ص ٣٩ .

عام (١٢٣٤هـ) [١] في أسفل وادي بلجرشي من شرب مات إلا ما شاء الله) ونقل عن " فائدة في التاريخ " خبر نزول المطر عام (١٢٣٣هـ) وأنه استمر ثمانية عشر يوماً وانفجر منه عين في بلاد بلجرشي من شرب منه أصابه ألم وذلك في سنة (١٢٣٤هـ) [٢]. ويبدو أن هذا الوضع السيء استمر أكثر من سنتين (١٢٣٤-١٢٣٦هـ) كما بينه الشيخ المنصوري، قال: (سنة ١٢٣٦هـ فيها كانت الحمى العظيمة التي أخذت كثيراً من الناس، ودامت الحمى قريباً من سنتين في هذه والتي قبلها) [٣].

ومنذ سنة (١٢٣٦هـ) وحتى سنة (١٢٥١هـ) لم أجد حدثاً مؤرخاً سوى المعركة التي وقعت بين عائض بن مرعي " أمير عسير" وأحمد باشا قائد الجيش التركي، التي هُزم فيها الأتراك، وعلى إثر ذلك الحدث دخلت غامد وزهران تحت حكم آل عائض، وأشار إليها المنصوري قائلاً : (سنة ١٢٥١هـ وقع الغلاء العظيم، وانكسر أحمد باشا من بلاد عسير وتبعه الأمير عائض وملك غامد وزهران) [٤]. وفي سنة (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) أرسل حاكم عسير عائض بن مرعي، إلى الإمام السعودي فيصل بن تركي، للوقوف ضد حكومة الأتراك في الحجاز، وقاد عائض قبائل عسير وقبائل غامد وزهران وقدر عددهم بحوالي (١٨٠٠٠) رجل، لمهاجمة جيش محمد علي باشا بقيادة حاكم عام الحجاز أحمد باشا يكن وهزموه، لكن الأخير لم يركن للهزيمة فعندما أمره (والي مصر) محمد علي باشا، بالتأني في الرد على التمرد أرسل يكن بتاريخ (١٣شوال/١٢٥٣هـ) رسالة إليه [٥] طلب فيها إمدادات لمهاجمة قبيلتي غامد وزهران موضحاً له أنهم يشجعون القبائل المجاورة على الصمود ويتقوى بهما عائض بن مرعي، ولو أهمل في تأديبهم لظنوا أن الجيش ضعيف، كما أوضح له خشيته من التحامهم بآل سعود في نجد . إثر ذلك أرسل حاكم مصر فرقة فرسان معظمهم من المغاربة والترك[٦]. وبدأت الاستعدادات سنة (١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م) ووقعت المعركة وانتصر الأتراك وأسروا شيخ غامد عبد العزيز بن أحمد، وشيخ زهران ابن رقوش وأرسلاهما إلى مصر. لكن ما لبثا أن عادا إلى ديارهما

---

(١) تاريخ الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد المنصوري (١٢٣٣هـ/١٣١١م)، المحقق : الزيد، هامش ص ٣٩ .

(٢) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ-١٣١١هـ) . ص ٤٠ .

(٣) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ- ١٣١١هـ) . ص ٤١ .

(٤) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣هـ- ١٣١١هـ)، ص ٤١ .

(٥) وثيقة رقم (٣٩٠) بمحفظة (٢٦١) في دار الوثائق القومية بالقاهرة بعابدين موجهة من أحمد شكري يكن (حاكم عام الحجاز) عام ١٢٥٣هـ إلى محمد علي باشا (والي مصر) .

(٦) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن . محمد علي وشبه الجزيرة العربية (١٢٣٤هـ-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م). ص١٢١، ١٢٣، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣ .

بعد تولي الأشراف حكم البلاد خلفاً لآل عائض، حيث ثبت حضور شيخ بلجرشي وغامد عبد العزيز بن أحمد، إلى المنطقة بموجب وثيقة مؤرخة وإجرائه صلحاً سنة (١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م) بين أهالي قرية حزنة من بني ناشر بلجرشي بسبب حدوث فتنة بينهم، وبعث الشريف الحسين بن منصور بممثلين عنه لحضور الصلح وأبدى موافقته على ما ترتب عليه [١].

وفي (١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ /١٧ فبراير ١٨٤٠م) صدرت أوامر حاكم مصر محمد علي باشا بانسحاب قواته من الحجاز ونجد واليمن، فوضع أحمد باشا يكن ترتيبات لبقاء بعض الحاميات وسحب معظم القوات بالتنسيق مع إبراهيم باشا يكن، فثبت الشريف شنبر في أطراف شمران وبلقرن والشريف زيد في تهامة والشريف منصور في غامد وزهران، على أن ترسل القوات غير النظامية من القنفذة إلى بلاد غامد لملاءمة مناخ المنطقة للجنود[٢]. أما الجيش النظامي فقد عاد إلى مصر سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) وبعض المؤرخين فسر سحب قوات محمد علي، بعدم القدرة على مواصلة التقدم للحاجة إلى الإمدادات وحمل العتاد، لكنه في الحقيقة أراد تركيز جهوده لمجابهة القوات الأوربية في بلاد الشام، وهذا كما ورد في كتاب " انهيار الدولة العثمانية " : (حينما علم محمد علي باشتراك الدول الأوربية في المفاوضات ومن بينها حليفته فرنسا بدأ يستعد لصد العدوان بتدريب الأهلين على استعمال السلاح واستدعى جيوشه من الحجاز ونجد وتخلى عن بلاد العرب[٣]. ثم سحب جيوشه من بلاد الشام، كما جاء في تاريخ "الدولة العثمانية " : (لم ير محمد علي باشا بداً من الإذعان لمطالب أوروبا وإنه من العبث المحض مقاومة الدول المتحدة فأصدر أوامره إلى ولده إبراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة وباستدعاء الجنود المعسكرة في حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس الكلي من العرب وسكان الجبل، وكان ابتداء الجيش في الرجوع إلى مصر في (شوال سنة /١٢٥٦هـ أواسط شهر ديسمبر سنة ١٨٤٠م) [٤]. هذه هي أسباب انسحاب الجيش المصري بعد أن حقق بعض النتائج التي مكنت الأشراف من السيطرة على غامد وزهران فأبقوا الشيخ عبدالعزيز بن أحمد شيخاً على بلجرشي وبني ناشر، حيث أصدر شريف مكة " محمد بن عون" أمراً في (١٢٥٦/١٢/١٦هـ) قال فيه : (الذي يعلم به من يراه من بلجرشي وبني ناشر،

(١) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٩٣ .
(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن . محمد علي وشبه الجزيرة العربية . ص ٢١٩ .
(٣) انهيار الدولة العثمانية، ج١، ص ١٤٣ .
(٤) فريد . محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ج١، ص ٤٦٨ .

فإنا قدمنا عليكم عبدالعزيز وملزمينكم له بالسمع والطاعة) [١]. لم يمر سوى أربع سنوات حتى استعاد عائض بن مرعي حكم المنطقة سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) وأناب مشائخ قبائل غامد كافة إضافة إلى بلجرشي وبني ناشر، شيخ بلجرشي عبدالعزيز بن أحمد، للتفاوض وإبرام صلح معه بتاريخ (١٣/١/١٢٦١هـ) [٢]. بعد هذا التاريخ ثبتت مشيخة بيت الغمد على كافة بلاد غامد وليس بلجرشي وبني ناشر فقط، حيث وردت بتاريخ (٢١/٤/١٢٦١هـ) رسالة من "حاكم عسير" أمر فيها كافة قبائل غامد البدو والقرى بالسمع والطاعة للشيخ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي . قال : (وانحن ومرناه عليكم فأنا ملزم عليكم له بالسمع والطاعة) [٣].وبتاريخ (٢٥/٤/١٢٦١هـ) أمر عماله بإعطائه ربع زكاة غامد، قال في رسالة له : (هذا خطنا شاهد بيد الأخ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي إنا أعطيناه ربع زكاة غامد الماشية والراسية والعروض) [٤]. وفي سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) تم الاتفاق بين شريف مكة المدعوم من تركيا وعائض بن مرعي، على أن تكون غامد وزهران تابعة لمكة المكرمة وأشار المشرف على جباية الزكاة عبدالحي بن سليمان، عامل الشريف أحمد، في رسالة له بتاريخ (٤/١٠/١٢٦٧هـ) إلى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد، باستقطاع جزء من زكاة غامد وكافة بلجرشي لتكون من نصيبه " أي الشيخ عبدالعزيز" [٥]. ولم يستمر الاتفاق سوى ثلاث سنوات، حيث عاد جيش عسير سنة (١٢٦٨هـ / ١٨٥١م) وتم تعيين محمد بن عائض أميراً للمنطقة متخذاً من الظفير بالباحة مقراً لإمارته [٦].

هدأت الأوضاع السياسية والحربية من سنة (١٢٦٨هـ وحتى سنة ١٢٨١هـ) ولم ينقصها سوى غلاء الأسعار وانتشار الأمراض، حيث ورد في تاريخ المنصوري (سنة ١٢٧٥هـ فيها مرد الغلاء العظيم المعروف " بمسحة " وحصل فيها هم وجدري ومحن كثيرة نسأل الله العافية، وتم قريباً من ثلاث سنين ورفعه الله تعالى [٧] لكن الهدوء السياسي لم يستمر أكثر من ذلك حيث تخلى العسيريون عن غامد وزهران سنة

---

(١) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٣١ .
(٢) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣٧ .
(٣) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٣٩ .
(٤) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣٠٧ .
(٥) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ٣١٠ .
(٦) السلوك . علي، غامد وزهران.. السكان والمكان، ص ٢١٥/٢١٦ نقلا عن مخطوطة جعاث.
(٧) المنصوري، علي، تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ)، ص ٤٦. أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا السرد الحضاري خلال القرن (١٢هـ/١٩م)، وهذا الموضوع جدير أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(١٢٨١هـ/١٨٦٤م)، بعد أن التقى جيشهم بجيش الشريف محمد بن عبد الله بن عون في المخواة[١]. ولم يتقاتل الفريقان بل تم الصلح بينهما مرة أخرى على أن تبقى البلاد بيد الشريف[٢]. ورغم عودة الهدوء مرة أخرى لمدة سنتين تقريباً إلا أن الأمراض أيضاً كان لها دور في فناء السكان، فقد ورد في تاريخ المنصوري : (سنة ١٢٨٣هـ) جاءت أمطار عظيمة وحصل في الناس حُمى وموت كثير) [٣] لم يهنأ الأشراف والأتراك بحكم المنطقة، فقد حرك محمد بن عائض قواته مرة أخرى بقيادة سعيد بن عائض سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) .للاستيلاء عليها، ورغم وصول حملة تركية بقيادة الشريف حسين بن محمد لمواجهته إلا أن الجيش العسيري انتصر بعد عدة مناوشات . ورد الجيش التركي بحملة على مقر آل عائض في عسير للقضاء على حكمهم، وتم لهم مبتغاهم سنة (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) لتكون بلاد غامد وزهران صافية للجيش التركي والأشراف[٤] وبعد استقرار الحكم التركي تعرض السكان لضغوط فحصل بعض اللغط والتمرد، وعلى إثر ذلك صدر أمر من وكيل القائد التركي أمير اللواء / السيد أحمد مختار إلى الشيخ أحمد بن عبد العزيز الغامدي بتاريخ (١٤/٣/١٢٨٨هـ) بمنع قرى غامد من حمل السلاح إلا للراعي والمسافر، حتى يمنعوا مشاركتهم في أي أعمال حربية أو إحداث فتن[٥]. ويبدو أن الأهالي لم يلتزموا بهذا الأمر حتى بعد سنتين من صدوره، عند ذلك فرض الأتراك نفوذهم بالقوة المسلحة لقمع أعمال الشغب والفتن نتيجة تغير الوضع السياسي، وحاول الشجعان من أبناء أهل الرهوة وبالشهم عمل شيء لكن لم يكن بمقدورهم مجابهة جيش نظامي مدرب ومجهز بمعدات عسكرية متطورة بالنسبة إلى تجهيزاتهم، وقد أشار المنصوري إلى تلك الحوادث في قوله: (سنة ١٢٩٠هـ فيها ثارت الفتن بين القبائل في السهل بعد قتل أحمد بن هباد وفي جمادى الآخر من السنة الماضية، ثم جاءنا علي حيدر وراح بالمحابيس بعد القتل والنهب الكثير[٦]. وعلي باشا

---

(١) المخواة : مدينة صغيرة في تهامة يقام بها سوق الخميس كانت تستريح بها قوافل الجرشيين قبل صعود عقبة حميدة ومن ثم إلى سوق السبت ببلجرشي، يسكنها بنو عمر، وجزء منهم في السراة يدعون بني ناشر " قرى بلجرشي المطلة على تهامة " ويربطها ببلجرشي عقبة جديدة للسيارات سميت (عقبة حزنة) باسم جبل حزنة المجاور. للمزيد عن بلاد المخواة انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ /٢٠١٧م) (الجزء الثاني عشر)، ص ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٠٤، ٣١٠ .

(٢) السلوك . علي، غامد وزهران ... السكان والمكان، ص ٢١٦ . نقلاً عن مخطوطة جعاث .

(٣) المنصوري، محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ)، ص ٤٨ .

(٤) السلوك . علي، غامد وزهران ... السكان والمكان، ص ٢١٧. نقلاً عن مخطوطة جعّاث .

(٥) السلوك . علي، وثائق من التاريخ، ص ١٧١ .

(٦) المنصوري . محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٤٩ .

المشار إليه هو "علي حيدر" وجاء في مخطوطة جعّاث[١] عن هذه الحملة وعن دور رجال بالشهم وأهل الرهوة، قال : جعاث: (ثم أن علي باشا قتل الحسين ومحمد علي يوم سبعة وعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٩٠هـ . بشهادة الزور والهوى من غير حق، ثم حط علينا يا أهل الجبال ستمائة ريال وثلاثين مد سمن وألف خروف على بني ظبيان جبل وسهل ثم راح علي باشا بلجرشي يوم السبت ثاني يوم من عيد الفطر، ووصل بلجرشي يوم الأحد ثالث يوم من شوال وأخذ عبدالعزيز وأولاده الثلاثة وعبدالله بن مجدول محابيس، فبدوا على بيوت عبدالعزيز فشاهدوا بالشهم وأهل الرهوة عند بيوت عبدالعزيز ثم الباشة راح بيت ابن مجدول وراح العسكر "دار الضلع" ثم يوم الإثنين جو بالشهم ومن معهم، وصبحوا الباشة في بلجرشي ثم انكسروا بلجرشي، وقطعوا (أي الترك) خمسة عشر رأس ووصلوا غيلان وقطعوا رأس محمد بن علي الحربي عند بيته وهو قريب يوم جاء من زيارة رسول الله ﷺ ثم أنه (أي الباشا) استقام ثلاثة أيام ثم رجع الباحة وأهلك الناس بأخذ أموالهم وسبا بيت عثمان وأخذوا منه أربعة آلاف وأربعين ريالاً وحلي كثيرة، وفرض على بلجرشي ستة آلاف وخمسمائة من غير ما طمعوا الترك من هوش وغنم ودراهم وحب) .

من الطبيعي أن المحرك الأساس لكل ثورة أو هياج شعبي، يكون في الغالب الجوع، ونتيجة سياسات الأتراك القائمة على استنزاف خيرات المنطقة بالضرائب العامة دون أن يقدموا ما هو نافع للأهالي " مدارس، مستشفيات، طرق، أمن وأمان " ونتيجة للظلم وتدني الأوضاع الاقتصادية بعد سنتين من الحادثة التي أشار إليها جعاث، ساءت الأوضاع إلى الحد الذي وصفها المنصوري بـ (العدمة " قال " سنة ١٢٩٢هـ سميت عدمه " لانعدام القوت فيها [٢]. نتيجة كل ذلك عارض السكان الحكم التركي وامتنعوا عن دفع الزكاة، فأرسل أحمد فيض " متصرف وقومندان لواء عسير " رسالة بتاريخ (١٢٩٦/١٢/٢٨هـ) إلى شيخ بلجرشي أحمد بن عبد العزيز الغامدي وابن عمه الشيخ عبد العزيز بن محمد، أخبرهم فيها بإصرار الدولة العثمانية على بسط نفوذها وإفهام الجاهل من الأهالي بذلك " ورد اللفظ هكذا في رسالته " وحثهم على جمع زكاة الذرة، وبطنها بتهديد ووعيد إذ لم ينفذ أمره [٣]. لكن سياسة القمع لم تكن تناسب الأهالي، فانفلت حبل الأمن، وحدثت فتن من ضمنها فتنة دار السوق التي أشار لها المنصوري، فقال:

---

(١) جعاث : هو أحمد بن محمد سعيد ولد سنة (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) بقرية دار الجبل في بني ظبيان بمنطقة الباحة، وتوفي سنة (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) . انظر : السلوك، غامد وزهران .. السكان والمكان، ص ١٤٧ .

(٢) المنصوري . محمد . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥٠ .

(٣) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ١٧٣ .

(سنة ١٢٩٧هـ، وعلى النصف من رجب حدثت الفتنة في دار السوق[١] رغم كل هذا العنف لم يتوقف الأهالي عن المطالبة بحقوقهم، ففي سنة (١٣٠٠هـ /١٨٨٢م) وصل قائد تركي يدعى محمد عارف، ومعه طابوران يبلغ عدد كل طابور من ثلاثمائة إلى أربعمائة ووضع جزية على أهل المنطقة ومنهم أهالي بلجرشي وجاء حساب الجبل كما ورد في مخطوطة جعاث أربعة خرفان وأربعين مد حنطة وعشرين شعير وذخيرة وستة وثمانين ريالاً جزية [٢] ولم تجد سياسة العنف شيئاً، فقد تجددت أعمال الشغب وضربت الفوضى أطنابها وازدادت أعمال النهب والاعتداء ووصل إلى حد سرقة الأحرار وبيعهم، ولم تتحسن الأحوال إلا في سنة (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) حين هطلت الأمطار وانخفضت الأسعار، حيث أشار المنصوري إليها وإلى فتنة داخلية بين قريتي القريع والمصنعة بسبب جبل شعران [٣]. الذي حكم به الشرع في العهد السعودي لأهالي القريع : سنة (١٣٠٦هـ وثارت الفتنة بين المصنعي[٤]. سنة (١٣٠٧هـ) ووقع الغلاء في ساير الأقطار وتقطعت الأسبال وقلت الأمطار، واسترقوا الأحرار، سنة ١٣٠٨هـ وقع فيها فتنة عظيمة في قرى الحجاز، وحصل الرخص في العقارات وعجز الحي عن قبر الميت من كثرة الأموات، وقطع العزا)[٥]. ولكن عاد وأشار إلى تحسن الأوضاع بعد سنة واحدة، قال: (سنة ١٣٠٩هـ حصل فيها أمطار غزيرة، وصلاح في الحلال)[٦].

حاول الأهالي رغم همومهم التفاهم مع الأتراك ولكن دون جدوى والأتراك معروف عنهم قوة الإرادة والإصرار والمثابرة للوصول إلى أهدافهم، ولذا أرسلوا حملة سنة (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) بقيادة القائد التركي أحمد رمزي ومعه ثلاثة طوابير في شهر ربيع الآخر كما قال جعّاث، عسكرت في بلجرشي وأجبروا الأهالي على دفع الجزية فكان قسم أهل الجبل ثلاثمائة وخرفان وذخيرة . وبعد أحمد رمزي بسبع سنوات وصلت حملة تركية أخرى سنة (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) قادمة من عسير بقيادة يوسف باشا الملقب

---

(١) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥١ .

(٢) السلوك، علي، غامد وزهران .. السكان والمكان، ص ٢١٧ . نقلاً عن مخطوطة جعّاث .

(٣) شعران : جبل مجاور لقريتي المصنعة والقريع ببلجرشي، حدث خلاف بين أهالي القريتين بسببه في عهد الدولة السعودية الثالثة، وحكم به الشرع كحمى لقرية القريع، بشأنه قال ياقوت : شعران وشيبان، والشويخص والشطير من جبال تهامة، المصدر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٣، ص ٣٤٩ .

(٤) النص كما هو في الأصل، والصحيح (المصنعة) .

(٥) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥٢ .

(٦) محمد المنصوري . تاريخ المنصوري (١٢٣٣-١٣١١هـ) . ص ٥٢ . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ غامد وزهران في عصر المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٨-١٣٧٧هـ/ . م)، فهذا موضوع جديد ويستحق البحث والتوثيق. (ابن جريس) .

بـ (أبوناب) وحطت في بلجرشي جزية كبيرة قوامها عشرون ألفاً من الدراهم وخرفان وشعير وضرمة [١]. وقطع الله هذا العذاب بآخر الحملات التركية على بلاد غامد وزهران سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، التي هُزم فيها الأتراك شر هزيمة حيث استطاعت قبيلة زهران وقبيلة رغدان من غامد تشتيت ستة طوابير هي عداد الجيش التركي ونهبوه وقتلوا من لم يستطع الهرب، وغنموا كما قال جعاث المدافع والخيل والبغال والجمال والدراهم التي لا يحصيها إلا الله [٢].

قيل ما قيل فيما يسمى بـ (هجة خالد)، واطلعت على عدة مقالات في شبكة المعلومات العالمية " الإنترنت " إضافة إلى ما سمعته من هنا وهناك، وكل منهم يدعي أن قوله هو الحق بعينه، لكن للأمانة العلمية، فإن نصوص الوثائق المتبادلة بين القادة وشيوخ القبائل بشأن تلك الحادثة، ستكون هي الفيصل ودوري ينحصر في تحليلها للخروج بموضوع منطقي مترابط . حتى قول من شارك أو شاهد أو عاصر تلك الحوادث، فلن أضع إلا ما يوافق نصوص الوثائق بحثت عن مصدر يذكر تلك الحادثة، وبعد جهد مضن لم أجد سوى مصدر واحد فقط عنوانه " تاريخ اللامع " للقاضي العامودي " المتوفّى سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) يكاد يكون الإشارة الوحيدة إلى تلك الحرب، والقول فيما بين القوسين هو للعامودي : (وفي شهر شعبان سنة أربعين جهز الملك ابن سعود على بني جرشي من بلاد غامد بجبل السراة فاقتتلوا معهم . فغلب جيش الملك ابن سعود أهل بلاد غامد .. وخادعت رجال غامد قبل انضمامهم إلى رئيسهم عبد العزيز [٣]، لأن بني جرشي في نظارة محمد بن عبدالعزيز ابن أخي عبدالعزيز، وقد كان على ما قيل: إن ابن سعود انحل ابن عبدالعزيز سماوية، وهو : محمد بن عبدالعزيز رئيس بني جرشي، ووفد محمد بن عبدالعزيز على الملك بن سعود بالرياض بهدايا جسيمة، وأكرمه الملك ابن سعود غاية الإكرام، فبعد قفوله من نجد توجه إلى مكة يخاطب الشريف الحسين بن علي عن المأسورين له لديه من غامد . فأغرى به عمه على الملك ابن سعود أنه دخل في عهد الشريف الحسين، ونقض عهدكم، فخرجت إلى بلاده الجيوش النجدية السعودية، مع القواد العظام، فاحتلها، ومحمد بن عبدالعزيز بمكة في خطاب المأسورين، فاحتلت النجود البلاد وذلك في رمضان من هذه السنة، وتفرق أصحاب محمد بن عبدالعزيز في اليمن، والشام شذر مذر، بعد أن كانوا

(١) علي السلوك، غامد وزهران ... السكان والمكان . ص ٢١٨ نقلاً عن مخطوطة جعّاث .
(٢) علي السلوك، غامد وزهران ... السكان والمكان . ص ٢١٩ نقلاً عن مخطوطة جعّاث .
(٣) وردت كلمة (لانضمامهم) والصحيح ما ذكرناه (انضمامهم) .

أغنى من ببلاد غامد) [١] . انتهى النص، والشيخ العامودي وإن أشار إلى الحادثة، لكنه لم يفصلها .

قلت إن الأقوال كثرت، ومنها حدوث خلاف بين خالد بن لؤي وبين الشيخ محمد والتجاء الأخير إلى مكة . وهذا غير صحيح أيضاً، وإنما المحرك لكل حدث هي شكوك القادة والوضع الذي يتطلب أحياناً التصرف السريع لمفاجأة الخصم، ويذكر أن الأحداث كانت على النحو الآتي: بعد أن قدم أهالي بالجرشي الولاء والطاعة في (١١ ذي الحجة ١٣٣٨هـ) [٢]. لخالد بن لؤي قائد جيش الملك عبدالعزيز في الخرمة، أرسل الشيخ محمد بن عبدالعزيز، رسالة إلى الملك عبدالعزيز يخبره فيها بمبايعته وكافة أفراد قبيلته، وأجابه الملك عبدالعزيز بعد (١٣) يوم من تاريخ البيعة بالعلم في رسالة بتاريخ (١٣٣٨/١٢/٢٤هـ) [٣] . وبعد شهرين بعث خالد بن لؤي برسالة إلى الشيخ محمد بن عبدالعزيز بتاريخ (١٣٣٩/٢/٢٢هـ) يطلب منه موافاته في بيشة ليحضر اجتماع الإخوان، وأخبره بأن نيته ستكون السواحل وأوصى بمؤنة للجيش، وفي آخرها تحذير ونذير من التأخير أو التقصير [٤]. وأوفى الشيخ بما طلبه خالد بن لؤي كما ورد في رسالة بتاريخ (١٣٣٩/٤/١٤هـ) حررها عبدالعزيز محيا، وعبدالله بن حمد، وعبد العزيز ابن مسلط (عمال الملك عبدالعزيز المكلفين بجمع الزكاة) تثبت أن الشيخ محمد دفع المستحق الشرعي عن بلجرشي ونصف أهل الرهوة وبني ناشر [٥]. لكن خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد اتخذا من موقف الشيخ محمد عندما ذهب لإطلاق بعض الأسرى من أبناء بلجرشي لدى شريف مكة الملك حسين، دون إبلاغ الملك عبد العزيز أو من ينوب عنه بما ينوي فعله، مبرراً لمهاجمة بلجرشي في (٢٦شعبان ١٣٤٠هـ) وما كان الأمر ليستحق كل هذا . وكانت بداية الحادثة كما سمعها والدي من (رمزي) المرافق الشخصي للشيخ محمد . قال

---

(١) العمودي، عبدالله بن علي، تاريخ اللامع، ج٢/ص ٣٩٦. السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٦، أشار المؤلف بأن خلافاً حدث بين الشيخ محمد وخالد بن لؤي وأن الشيخ محمد التجأ إلى الحسين في الحجاز . هناك أقوال كثيرة على هجمة خالد بن لؤي على بلاد غامد وبخاصة بلدة بلجرشي ،وآمل أن يظهر باحث جاد ومنصف فيجمع المصادر والوثائق الموثوقة ويدرس هذه الحادثة دراسة علمية منصفة . (ابن جريس) .

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٣٣ في رسالة من خالد بن لؤي موضح فيها أن قبائل بني عامر قد بايعت، وبالجرشي يدعون أنفسهم (بالجرشي بني عامر) في وثيقة تاريخية لهم، كما أن بعض قبائل زهران تدعو نفسها بني عامر.

(٣) السلوك، وثائق من التاريخ ، ص ٢٣٥ .

(٤) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٠ .

(٥) السلوك، علي، وثائق من التاريخ، ص ٣١٨ .

" عاهد أهالي بالجرشي قائد جيش الملك عبدالعزيز على الولاء والسمع والطاعة، وعندما سمع ملك الحجاز "الشريف حسين" بذلك قبض على بعض أبناء بالجرشي في جدة ومكة وسجنهم وصادر أموالهم، فاجتمع أعيان بالجرشي وطلبوا من الشيخ محمد بن عبدالعزيز زيارة الشريف حسين لفك الأسرى، وبعد تردد وافق الشيخ فذهبت برفقته ومعنا الشاعر على جماح، وفي الطريق لمحتنا عيون جيش الملك عبدالعزيز واستوقفونا فعرفناهم بالشيخ وطلبوا منا زيارة خالد بن لؤي واتجهنا إلى معسكره فاستقبلنا استقبالاً لائقاً وأكرمنا، ثم سألنا عن وجهتنا فأجابه الشيخ: إن لنا غرض سنقضيه في الطائف وسنعود. فأهدانا خالد بن لؤي خيلاً ومنها فرساً بيضاء، وأرسل خلفنا من يتبعنا، وعلمنا فيما بعد انه بمجرد نزولنا من عقبة الهدى باتجاه مكة المكرمة اعتبر تصرفنا من أبواب الخيانة وعندما علم من جواسيسه أن الشيخ أهدى فرساً للشريف الحسين، ظن أنه استهان به وأهداه الفرس البيضاء التي أهداها إياه في معسكره، وسمعنا فيما بعد أنه هاجم بالجرشي[1]، علماً أن الشيخ العامودي في قوله: (ابن سعود انحل ابن عبدالعزيز سماوية، وهو: محمد بن عبدالعزيز رئيس بني جرشي[2]. أيد قول (رمزي) المرافق الشخصي للشيخ محمد بن عبد العزيز من أن الشيخ تلقى هدية من خالد بن لؤي قديماً نيابة عن الملك عبدالعزيز وهي عبارة عن " فرس أبيض " .

قبل أن تبدأ الأعمال العسكرية طلب خالد بن لؤي من الأعيان التخلي عن الشيخ لأنه سيقبض عليه حين عودته ويصادر أملاكه، فأبى أهالي بالجرشي كونهم هم الذين طلبوا منه زيارة الشريف حسين في مكة فاعتبرهم ناقضين للبيعة وحرك الجيش باتجاه بالجرشي وأصبحت منطقة حربية يحظر الدخول إليها أو مساعدة أهلها، وحذر سلطان بن بجاد الذي كان يقود جزء من الجيش مع خالد بن لؤي، لبلجرشي من الاقتراب أو حماية أموال وأملاك الجرشيون الثابتة والمنقولة وذلك في رسالة بعثها إلى أحد أعيان بني جرة من بني سالم، نورد الجزء الذي يهمنا منها، قال: (بسم الله الرحمن الرحيم من سلطان بن بجاد إلى عبدالرحمن بن حامد من بني سالم، أن حلال بلجرشي إن كان أنه عندكم تخرجونه، لأنها بلاد حرب ولا يجيها إلا محارب) [3]. وإحدى شهو العيان على تلك الحادثة، قالت لي : (قدم أول الجيش وأنا أعمل في الوادي وعمري لم يتجاوز الخامسة عشر سنة، فهربت إلى البيت ثم هربوا بنا أهلنا إلى تهامة، مع جملة من الناس

(١) رواية شفهية من رمزي، المرافق الشخصي للشيخ عبدالعزيز الغامدي " شيخ بالجرشي " حدث بها والدي .
(٢) العمودي، عبدالله بن علي، تاريخ اللامع، ج٢، ص ٣٩٦ .
(٣) الغامدي، علي حرفوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٥١ .

حملوا ما كان في متناول أيديهم فمنهم من يقود ثوره وحلاله خلفه وبعضهم حمل معه بعض الجنيهات الذهب وآخرون اكتفوا بالطعام . وكان البعض يتخفى في الليل ويصعد من تهامة إلى بالجرشي للحصول على طعام من بعض القرى المأمنة ثم يعود)

وللتاريخ فعدا ما تتطلبه فنون الحرب من حصر لبيوت المشائخ ومصادرتها فإن أفراد الجيش لم يرتكبوا شيئاً من الفضائح أو أعمال السلب والنهب التي حدث لأنهم كما نعرف جميعاً متدينون جداً ومن المستبعد أن يقوموا بأعمال تخالف الشرع بل إن كبار السن من الأهالي حين يذكرونهم في رواياتهم يطلقون عليهم حتى اليوم لقب (المدينة) أي المتدينون، وكان الضرر من بعض الطامعين والمستغلين للموقف الذين تتبعوا لخطى الجيش، وهذا ليس بغريب لأنه من خلال اطلاعي على الحوادث التاريخية في حقب زمنية متباعدة، عادة ما يتبع الجيوش بعض الفئات، ولذا بعد خلو قرى بلجرشي من أهلها وعودة الجيش إلى معسكره، دخل هؤلاء وبحثوا عن المال والمتاع، فوجدوا كميات كبيرة من جنيهات الذهب في صناديق مقفلة وجرار سمن وعسل وخيرات في مخازن البيوت التي تعرض بعضها للحرق، خاصة في دار السوق "سوق السبت" وبالنسبة للقول المتواتر عن هروب الأهالي، فيذكر أنهم كانوا متيقنين من أن كبار القوم قد توصلوا إلى اتفاق مع قادة الجيش، ولذا تفاجأوا بالهجوم المباغت للجيش ولجهلهم بالأهداف السامية التي كان يدعو إليها الملك عبد العزيز، قاوم البعض دون استعداد مسبق دفاعاً عن أرضه لأن الفكرة العامة عن الجيش وأفراده تكونت معتمدة على ما سبق وسمعوه من آبائهم عن عنف وشراسة الجيوش الغازية للمنطقة ومن هؤلاء المدافعين عبدالله بن سفران من قرية القريع، فهذا الرجل تحصن في أحد الحصون الحربية التابعة للقرية وحده وعاونه ثلاثة أفراد في تعبئة الذخيرة، ولفارق القوة والاستعدادات قتل في اليوم الثالث من بدء الهجوم، الموافق لتاريخ (١٣٤٠/٨/٢٨هـ) [١]. وبعد حادثة بلجرشي أراد قائد الجيش خالد بن لؤي، استفزاز قبائل زهران فبعث إلى راشد بن جمعان بن رقوش رسالة في شهر رمضان من سنة (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) فيها تهديد ووعيد، دون مبرر واضح، والآتي جزء من نصها : (من يوم ذكرت أنك على العهد اللي بيننا وبينك فلا صار معلوم، والبهرجة والكذب نقص على العاقل ديناً وشيمة، ومن يم ذكرت أن بلادك

(١) عبد الله بن سفران : قتل وعمره اثنان وعشرون عاماً، ولم يعقب ذرية، وهو عم والدة المؤلف، شقيق أبيها أحمد، والأخير كون أسرة كبيرة يقيم أفرادها في مكة وجدة ومحائل عسير وينبع . عرف رجالها بالكرم والشجاعة والنخوة، وهم من خيرة رجال بالجرشي، فقد كان جدهم سفران من أشجع أربعة رجال في بالجرشي، بل كان هؤلاء الأربعة أصدقاء في السر، أعداء في العلن كما أشيع عنهم، وأحفاد أخيه اليوم من الموالين المخلصين للدولة، وما أوردته للتاريخ فقط .

مدهرة، فالمسلمين ماجو على شان حبك جو لقصود (كما هي في النص) نرجو أن الله يبلغهم إياه) [١] وهو هنا حاول اختلاق مبرر لمهاجمة قبائل زهران، ومن جهة أخرى حاول شريف مكة حسن بن علي استغلال الحادثة وإيغار الصدور وإرهاب المشائخ من نتائج بيعتهم لآل سعود واستمالتهم إلى جانبه، فبعث برسالة حملها الشيخ عبدالعزيز بن صقر، إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش، ذكره فيها بما حدث لبلجرشي[٢]. لكن القبيلتين قدمت الولاء والطاعة بإخلاص للملك عبدالعزيز، وهنا الفرق بين التصرفات التي لا يحمد عقباها وبين التصرفات الرزينة والسياسة الحكيمة التي يتبعها الملك عبدالعزيز، فهو لا يستخدم القوة إلا حين يستلزم الأمر .

وأحد أحفاد شيخ بلجرشي واسمه " محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالعزيز "[٣]. أخبرني أن جده لم يُسجن في الرياض وإنما أقام لمدة (١٣) سنة [٤]. ورغم أنه لديّ مصدق إلا أنه لم يثبت لي بموجب الوثائق والرسائل صحة هذا القول وإنما هي إشاعة قد سمعها مع السامعين وأنا أحدهم . وعليه فإن الرواية الثابتة بموجب الوثائق والمراسلات هي أنه لم يُقبض على الشيخ محمد بن عبدالعزيز أو تحدد إقامته إطلاقاً بعد معركة هجة خالد كما يظن الكثيرون، وللدلالة على قولنا هذا، فإن تاريخ هجة خالد هي شعبان (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وبعد (٤) سنوات أرسل الملك عبدالعزيز رداً على رسالة الشيخ المؤرخة في (٢٩/٥/١٣٤٤هـ) أثناء حصار جدة، يطلب فيها مشاركة أبناء غامد في حصار جدة، ورحب به الملك عبدالعزيز هو ومن يتبعه [٥] فكيف يرسل من تكون إقامته محددة وليس له أمر على جماعته برسالة يعرض فيها المشاركة في حرب مهمة ويكون الملك راضياً فيرد مرحباً، ورغم حادثة بلجرشي كانت علاقة الملك بالشيخ ممتازة، وقد أمر له الملك فيما بعد بمكافأة سنوية قدرها مائتا ريال، نظير مشاركته ومساعدته

---

(١) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٦ .

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٤٨. آمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ وحضارة بلاد غامد وزهران في نهاية عصر المتصرفية العثمانية في عسير، ودخول هذه البلاد تحت لواء الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود . (ابن جريس) .

(٣) حضر محمد بن سعيد بن عثمان إلى مدينة الرياض عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م) لمرافقة خاله محمد الدعموقي " رحمه الله " حينما كان يتلقى علاجاً من سرطان الحنجرة، وقد سعدت برفقة الرجلين الكريمين لمدة شهر وأقاموا عندي بلا فضل أو منة بل لي الشرف والسعد بذلك، وكان حديثي مع الأخ العزيز محمد حول حادثة جده الشيخ وحوادث أخرى تتعلق بالمنطقة .

(٤) سبق وأن زارني الأخ الكريم محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالعزيز مع خاله محمد الدعموقي رحمه الله بمدينة الرياض أثناء تلقي الأخير العلاج بالمستشفى التخصصي، وتناولنا هذا الموضوع كثيراً خلال لقاءاتنا التي استمرت مدة أسبوعين .

(٥) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٥٨ .

للأمير المعين من قبل الحكومة [١]. ويجب أن نعلم أن الملك عبد العزيز رجل حكيم ويعلم أنه من الطبيعي لأي رجل حر أن يدافع عن بلده وأهله بالأسلوب الذي يتوافق وإمكانياته، والمستغرب هو ألا يفعل .

وقد عين الشيخ محمد بن عبدالعزيز مستشاراً للأمير المعين من قبل الحكومة، وبطبيعة الحال لابد من الاختلاف في الرؤى، فأخبر الأمير الحكومة بعدم اتفاقه مع الشيخ ابن عبدالعزيز وعندما صدر أمر الأمير فيصل بن عبدالعزيز (نائب جلالة الملك في الحجاز) في (١٣/٧/١٣٥٤هـ) إلى الشيخ محمد بالتوجه إلى الرياض . ونلاحظ أن هذا الحدث تم بعد مهاجمة بلجرشي بأربعة عشر عاماً [٢]. ومن ثم طلب الشيخ محمد من الملك سعود حينما كان ولياً للعهد العودة إلى بلجرشي، وبعث له الملك سعود رسالة مؤرخة في (١٦/١١/١٣٥٥هـ) رداً على رسالته ووعده بأن ينظر في أمره [٣]. ولو تمعنا في هذا الأمر قليلاً لوجدناه في صالح الدولة وفي صالح الشيخ محمد . فالدولة كانت في طور التأسيس وأهالي بالجرشي عقلاء وتقبلوا الأمر بواقعية، فلو حدث وشاية أو خبر غير صحيح في حق الشيخ فإن الدولة ما كانت لتقف موقفاً سلبياً، فرأى الملك أنه من الصالح أن يستضيف الشيخ في الرياض ولم يكن مسجوناً بل ضيفاً مكرماً معززاً، وحين تبين الخير وعم الأمن والسلام عاد الشيخ إلى أهله[٤].

سادساً: صور تاريخية حضارية من بلجرشي وما حولها قبل عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م):

هناك رأي لا يُختلف عليه حول مفهوم مناهج البحث العلمي وهو أن الدارس لأي مجتمع مستقر لم يحدث به تغير، عليه أن يخطو خطوة منهجية وموضوعية بالاعتماد على الوثائق والمدونات التاريخية وعلى مرويات كبار السن والأحاديث الشعبية والتراث، ولكن بعد التغير فإن المنهج الوصفي هو الواجب اتباعه أي " الملاحظة والوقائع الإحصائية " [٥]. ونجد

---

(١) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٣٤٨ .

(٢) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٩٤ .

(٣) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢٩٦ .

(٤) أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا التدوين التاريخي، فقد طرحت محاور جيدة وهي جديرة بالبحث والدراسة .وأثناء تجوالي في بلادكم (غامد وزهران) وجدت الكثير من الجوانب التاريخية والحضارية القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة وهي تستحق الدراسة والتوثيق، وآمل منكم يا أبناء منطقة الباحة أن تعكفوا على حفظ ودراسة موروثكم التاريخي والحضاري . للمزيد انظر غيثان بن جريس وبخاصة الأجزاء (الخامس، والسابع، والعاشر، والثاني عشر) من موسوعته : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . وانظر للمؤلف نفسه . منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات) (ق١-ق١٥هـ /ق٧-٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (الجزء الأول) (٥٣٦ صفحة) . (ابن جريس) .

(٥) السيف، محمد، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي .

بعد اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة بكميات تجارية، والبدء بتنفيذ الخطط الخمسية التنموية، فقد طرأت تغيرات اقتصادية واجتماعية كان لها تأثير على كافة مناطق المملكة وسكانها، حيث تسببت في حدوث نهضة شملت مختلف مجالات الحياة اعتباراً من سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ورغم أن خطط التنمية ركزت أولاً على المدن الكبيرة وعلى إيصال الخدمات وشق الطرق وتوفير المدارس والمستشفيات، إلا أن أفراد المجتمع الجرشي القاطنون في المدن الكبرى لم تفتهم فرصة تحقيق ثروات شخصية لأنهم كانوا مؤهلين للتفاعل مع الأنشطة الكثيرة والمعقدة التي صاحبت الطفرة الاقتصادية، والكثير منهم أصبحوا من كبار ملاك العقار في المدن الكبرى. أما السكان المقيمون في بلاد بلجرشي فقد شعروا ببعض التغيرات التي كانت تحدث بسرعة غير عادية، وحتى عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) كانت الظواهر الاجتماعية في بلجرشي على صورتها الأولى مع بعض التطور البطيء جداً تبعاً للإمكانيات المحدودة حين ذاك، وأذكر جيداً بعض رموزها كسوق سبت بلجرشي، وصناعة الجبة، ووجود البقرة في كل بيت، لأن الكثير من الأهالي كانوا يمارسون عاداتهم وأعمالهم السابقة ولا يزالون يمارسون مهنة الزراعة بشكل كبير، لكن بنظرة إلى من لم يستطع ممارسة النشاط الاقتصادي، فإن الكثيرين منهم أكملوا تعليمهم بنجاح واتجهوا إلى الوظائف فلا تخلو دائرة حكومية منهم وخاصة في كل من الرياض والدمام وجدة والطائف ومكة، بل أصبحت الإدارة المالية والإدارية وكأنها حكر عليهم، فترى المسؤولين يسندونها إليهم في بعض الوزارات أو الدوائر الحكومية الفرعية، كذلك نجحوا في القطاع الخاص، فمعظم التجار الكبار من أهل مكة وجدة وضعوا ثقتهم في أبناء بلجرشي بعد أن تلقوا تعليماً جيداً، وأصبحوا وكلاء عنهم وممثلين لهم.

والواقع أن مادة هذا المحور سوف تركز على عنصر ما قبل الطفرة [1]. لكن لابد من المقدمة السابقة لنقارن بين اليوم والأمس. فالدارس لتاريخ المجتمع الجرشي قبل

(١) يقصد بالطفرة هنا، أي التوسع أو الطفرة الاقتصادية: وهو مصطلح يستخدم في المملكة العربية السعودية، ويطلق على الفترة المؤرخة من (١٣٩٠-١٤٠٠هـ) الموافق (١٩٧٠-١٩٨٠م)، وهي الفترة التي شهد فيها البترول طلباً متزايداً من دول العالم وارتفاعاً في الأسعار وبالتالي كانت العوائد المالية مرتفعة إلى الحد الذي فاضت فيه ميزانية الدولة، وكان لهذه الطفرة المالية نتائج ذات أثر كبير وبسببها حدثت متغيرات قوية في المجتمع السعودي سواءً من النواحي المادية أو الثقافية، حيث تحولت البلاد إلى ورشة عمل كبرى ووفدت عليها الشركات العالمية والخبراء والعمال الأجانب للمساهمة في تنفيذ المشاريع الكبرى الحكومية والخاصة، وتم بناء العديد من المدارس لنشر التعليم على أسس علمية منهجية بدلاً من الطرق البدائية التي كانت سائدة ونتيجة التعليم وتفرع الوزارات الحكومية في كل البلاد توفرت وظائف لعدد كبير من أفراد الشعب بأجور مرتفعة، وشقت الطرق لتصل بين المدن وازداد عدد السيارات وأصبح الحصول عليها بالنسبة للأفراد سهلاً، وكل هذه العوامل أحدثت تغيراً ثقافياً على العادات والتقاليد والعرف السائد وكذلك المهن التي كان يمارسها الشعب في مجال الزراعة والرعي والصناعة وغيرها. (ابن جريس) .

فترة الطفرة، سوف يجد أن التطور كان بطيئاً منذ القدم حتى الوقت الذي بدأ فيه التغير متزامناً مع المرحلة التي أطلق عليها مصطلح الطفرة الاقتصادية ومن حسن الحظ أنني عاصرت بدايات التغير ولم أجد صعوبة في تتبع الفرق بين ما قبله وما بعده، كوني عايشت بعضاً من الأوضاع السابقة أثناء قضاء إجازاتي المدرسية في بلجرشي قبل (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) إلى جانب حصولي على معلومات عن الأحوال الاجتماعية في تلك الأيام لوجود كثيراً من كبار السن الذين لاتزال ذاكرتهم تحتفظ بالكثير عن الماضي الذي يستحق التدوين . وعندما ننظر إلى أي مجتمع سنجد أن حياته الاجتماعية محددة تبعاً لطبيعة البيئة . فإن كانت صحراوية، كان عدم الاستقرار والصراع هو السائد، وإن كانت خصبة ممطرة تميز المجتمع بالاستقرار وتحديد الملكيات وتقسيم العمل . وهي عوامل تدعم النمو الذي يبدأ نتيجة الرغبة في تطوير الأساليب التي تساعد على البقاء مثل (بناء السدود، طرق الري، تربية الحيوانات المستأنسة والطيور الداجنة، وحفظ المنتجات وطرق تصريفها " التصدير والاستيراد.. إلخ) . والحياة الاجتماعية في المجتمعات المستقرة تعتبر تقريباً ذات طبيعة واحدة وتختلف بين كل بلد وبلد تبعاً لوفرة الموارد أو ندرتها ولتقسيم العمل إن كان معقداً أو بسيطاً.

وبما أن بلجرشي كغيرها من بلدان السراة تتميز بمناخ مناسب وأرض خصبة وفائض من المنتجات الزراعية والحيوانية فإن أهلها فعلوا ما كان يفعله السرو منذ زمن بعيد، فقايضوا منتجاتهم مثل (البر والشعير والعدس والحلبة والثفاء " الرشاد " والثوم والبصل والسمن والعسل واللوز والزبيب وبعض الملبوسات كالجباب والصمغ) ببعض ما لا يستطيعون إنتاجه مثل(البهارات والأدوية الشعبية والبن والحلبة والحبة السوداء والفول والعدس والسمسم والزنجبيل الحبشي والهيل، والملابس الجاهزة، والأقمشة بأنواعها، والعطور وأدوات الزينة للنساء والأواني المنزلية والقصدير والصباغ) وهذه الأصناف تستورد عبر ميناء مصوع في إريتريا، وميناء سواكن، وميناء بورسودان، وميناء عدن ومكة المكرمة . ويكون اتجاههم في الغالب إلى مكة المكرمة لقربها منهم، يحضرونها معهم إذا أرادوا أداء الحج والعمرة أو ينقلها تجارهم، وقد أشار صاحب " اللباب في تهذيب الأنساب" إلى السرو حوالي القرن السادس الهجري، (الثاني عشر الميلادي) قال : (السرو هو ناحية باليمن مما يلي مكة وهي قرى كثيرة مجتمعة يحضر منها بمكة جماعة كبيرة يجلبون الميرة) [1] وأشار إليهم ابن جبير حوالي القرن السادس الهجري : (وفي يوم الجمعة بعده وصل السرو اليمنيون في عدد كثير مؤملين

(١) الجزري : أبو الحسن علي الشيباني، اللباب في تهذيب الأنساب . ج ٢، ص ١١٥ .

زيارة قبرِ الرسـول ﷺ وجلبوا ميرة إلى مكة على عادتهم فاستبشـر الناس بقدومهم استبشاراً كثيراً حتى أنهم أقاموه عوض نزول المطر ولطائف الله لسكان حرمه الشريف واسعة أنه سبحانه لطيف بعباده لا إله سواه، وفي هذه الأيام السالفة من الشهر المذكور توالى مجيء السـرو اليمنيين في رفاق كثيرة بالميرة من الطعام وسـواه وضـروب الإدام والفواكـه اليابسـة فأرغدوا البلد ولولاهم لكانوا من اتصـال الجدب وغلاء السـعر في جهد ومشـقة فهم رحمة لهذا البلد الأمين) [١]. وابن بطوطة أشـار إليهم حوالي القرن السـابع الهجري (الثالث عشـر الميـلادي) قال: (وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيـب والزيت واللوز فترخص الأسـعار بمكة ويرغد عيش أهلهـا وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع الموت في مواشـيهم ومتى أوصـلوا الميرة أخصبت بلادهـم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسـل عنها اجتمعت نسـاؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صـنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين وبلاد السرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات وأهلها فصحاء بالألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد) [٢] كانت هذه العملية مسـتمرة منذ القدم وحتى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، حيث تدل وثيقة مصـورة في كتاب " وثائق من التاريخ " أن شريف مكة الحسين بن علي، طلب توريد الزائد من المواد الغذائية " الحبوب " في المنطقة عموماً سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، عقب نشوب الحرب العالمية الأولى وانقطـاع الواردات من الخارج عن مكة المكرمة وجدة [٣] وأشـار حمد الجاسـر إلى ذلك في كتابه " سـراة غامد وزهران " قائلاً : (لقد كانت أسـواق مكة وأسـواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل) [٤].

ولمعرفة كيف كان سـكان بلجرشي يعيشـون حياتهم نجد أنهم يتشاركون مع عموم أهل السـروات في ممارسـة الزراعـة، لكن التجارة والصـناعة الخفيفة تـكاد تختص بها بلاد بلجرشـي فقط، فالجرشـيون مارسوا البيع والشـراء وأتقنوا الحرف اليدوية، وهاجـروا إلى بلدان اسـتقروا بها بشـكل مؤقت أو دائم ليتعلمـوا وينقلوا كل جديد، لذا

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج١، ص ١٢٣- ١٢٤ .
(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة . ج١، ص ١٨٣ .
(٣) السلوك، وثائق من التاريخ، ص ٢١٣ .
(٤) الجاسـر، حمد، في سـراة غامد وزهران . ص ٣٦٩، وزيارة الشـيخ الجاسـر للمنطقة كانت في العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري .

حياتهم تنحصر حول السوق وما يُباع ويشترى فيه، وليس من المستغرب أن تتكرر جملة (نهبط السوق) أو(هبط السوق) أثناء الحديث اليومي للأهالي، كما أنه ليس من المستغرب حين تسمع كبار السن حينما يتحدثون عن ذكرياتهم فيقولون حين عاد أو سافر فلان إلى المخواة أو مكة المكرمة أو جدة أو القنفذة أو بعض بلدان إريتريا والحبشة والصومال والسودان (مصوع وسواكن وغيرها) . وكانوا يذهبون إلى مكة المكرمة وجدة عن طريق الساحل، ويقطعون المسافة في عشرة أيام تقريبا، ثم يعودون بقوافلهم محملة بالخيرات لتستقر في سوق الخميس الذي يقام بالمخواة، ويكون في استقبالهم بعض أبناء بلجرشي والمناطق المجاورة لهم الذين اعتادوا على زيارة سوق خميس المخواة في تهامة يوم الأربعاء، ثم يصعدون برفقة القوافل إلى بلجرشي عبر عقبة حميدة[١] ليحضروا سوق السبت . وساق الشيخ الحسيل في كتابه "غامد وزهران" نبذة عن الأسعار السائدة في سوقي المخواة وبلجرشي سنة (١٣٦٠هـ/١٩٤٠م) حيث كانت في المخواة كالآتي: دخن الخبت سعره (٣) سوادي[٢] منه بريال واحد، والثور تتراوح قيمته ما بين (١٥-٣٠) ريال، والغنم حوالي ريالين، والجفر(التيس) حوالي ريال واحد. وفي سوق سبت بلجرشي كانت كالآتي: المد من البر بحوالي ريالين عربي سعودي، والعشرة أمداد من الشعير بحوالي ريال واحد. والستة عشرة مد من الذرة بحوالي ريال واحد، والعدلة [٣] من التمر بأربعة ريالات، وقيمة الجمل تتراوح ما بين (٨٠-١٠٠) ريال . والثور بـ (٥٠) ريال، والخروف بـ(٥) ريالات . كما أشار إلى أن البعض كان وحتى ذلك الوقت يستخدم الريال الفضي الفرنسي (ماريا تريزا) الصادر عام (١٧٨٠هـ)

---

(١) عقبة حميدة : ارتفاعها عن سطح البحر حوالي (٢٢٠٠) متر، وبها العديد من المغارات والجروف شديدة الانحدار، وبالطبع في مثل هذه البيئة تتواجد بعض الحيوانات المستوطنة في الجانب الإفريقي الآخر من سلسلة الجبال المحاذية للبحر الأحمر، فالنمور والضباع والثعابين والذئاب والثعالب والقرود وكذا الطيور بأنواعها سواءً المهاجرة أو المستوطنة . أما الصدور كمخشوش ومطيب ومالحة وحميدة وغيرها، فتكثر بها أشجار الليمون والموز والحناء والكادي والريحان، كذلك تجري بها المناهل.

(٢) السادية : تزن (٨) رواوري بمكيال سوق المخواة والرورة تزن حوالي (٨) كيلوغرام . وأيضاً السادية تزن مداً ونصفاً بمكيال السراة، والمد يزن حوالي (٥) كيلو غرام . المصدر: غامد وزهران، إبراهيم الحسيل . ج ٢، ص ١٢٠ .

(٣) العدلة : تزن حوالي (٥٠) كيلو جراماً . المصدر : غامد وزهران، إبراهيم الحسيل . ج٢، ص ١٢٠ . أشكرك يا عبدالله المغرم على هذا التدوين التاريخي والحضاري لبلاد بلجرشي . لكن قولك في بداية الفقرة الآنف ذكرها "إن التجارة والصناعات الخفيفة تختص بها بلاد بلجرشي فقط" . فهذا توثيق غير دقيق . فأرض بلجرشي جزء صغير من بلاد السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة ونجران، ومن يدرس أحوال المدن والقرى والحواضر في هذه المنطقة الواسعة فإنه سوف يجد أمكنة أقدم وأعرق في تاريخها وحضارتها وما تشتمل عليه من إمكانات اقتصادية وموروثات حضارية أخرى . وآملٍ من أبناء كل ناحية في تهامة والسروات وبخاصة المحطات والحواضر والبلدات القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان أن يدرسوا تاريخها وتراثها . كما أن منطقة الباحة يوجد فيها الكثير من المعالم التاريخية والحضارية القديمة الجديرة بالدراسة والتوثيق، ونأمل من أبناء هذه البلاد أن يبذلوا بعض الجهود العلمية في خدمة أرضهم . (ابن جريس) .

خاصة في سوق المخواة[١] وبالنسبة لهجرتهم إلى البلدان البعيدة، فقد كانت الحبشة هي الوجهة الرئيسية لهم، تليها إندونيسيا ثم بلاد الشام [٢] .

ومن أهم معالم بلجرشي، سوقها الشعبي، المعروف بـ (سوق السبت)، ويقع في الجزء الشرقي من المدينة ويتخذ من سفح جبل زبيدة مركزا له، سمي بدار السوق، وهذا المكان يشتمل على أربع قرى هي العوذة، والركبة، والغازي، والسلمية، والأخيرة كانت مخزن بضائع السوق . وكان سوق السبت قائماً على المعاملة بنية حسنة، عمليات البيع والشراء لا يُعرف عنها إلا الصدق والثقة ومن خالف المألوف أو غش يشهر به، كذلك الباعة والمشترون من خارج بلدة بلجرشي وقراها يتم استقبالهم كضيوف لهم حق الضيافة والإكرام . لعدم وجود فنادق، وللحفاظ على سمعة السوق سنت قوانينه التي لا يمكن الخروج عنها، فأهل بلجرشي عقدوا له العقود والتزموا بالعهود وأقروا بالمواثيق . وأعمال السوق لا تشمل البيع والشراء فقط، بل يُشاع فيه الصلح، ويقال فيه الشعر، ويذاع فيه الخبر بما يعرف بـ (البدوة) وهو شخص من عرفاء السوق وعقاده، يصعد فوق مكان مرتفع، ويبدأ بتنبيه الناس حتى يتجمعون، ثم يذيع الأخبار وكل ما يتعلق بالسوق وأخبار التجار . أما الصلح فمن تقاليد السوق القديمة ما يُعرف بـ (النقا) وهو اعتراف الرجل بالخطأ وإقراره بالحق لخصمه، ولإرضائه يأخذ الخنجر أو الجنبية ويضرب بها نفسه حتى يخرج الدم، ثم يتدخل الحاضرون والمصلحون لإنهاء الخلاف ومصالحتهم[٣] .

وللسوق فروع وأجزاء متجاورة وكثيرة، وكل جزء مخصص لنشاط معين يتجمع به التجار والحرفيون، فهناك متاجر للأقمشة والعطور ولوازم النساء، والجنابي والسكاكين والخردوات، والمواشي والدواجن والطيور بأنواعها، والأصواف، والسمن والعسل ، والحبوب والتمور التي يحضرها تجار من بيشة ورنية، ويباع التمر بالأوقة والعدلة والتنكة، أما القسب[٤] وهو النوع اليابس من التمور فيباع كالحبوب بالربع

---

(١) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج٢، ص (١٢٠/١٢١) . تاريخ التجارة أو الاقتصاد في سروات غامد وزهران خلال القرون (١٤٠١٢هـ/ ق ١٨٠٢٠م)، من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة والتوثيق في أكثر من كتاب وبحث . (ابن جريس) .

(٢) ياعبد الله المغرم إن أهالي بلجرشي لهم بصمة واضحة في عالم الهجرة في العصر الحديث وبخاصة في القرنين (١٤٠١٣هـ / ١٩٠٢٠م) وآمل منك أو من أحد الباحثين الجادين في بلاد غامد أن يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو بحوث علمية عديدة، ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يطلعنا على دورهم التاريخي والحضاري في البلاد التي هاجروا إليها، كما أنه سيطلعنا على الجوانب الإيجابية التي حظيت بها بلاد بلجرشي من هجراتهم المتكررة إلى أوطان عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ الأسواق الأسبوعية في السروات من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٤) القسب : كما ذكره ابن منظور في لسان العرب، هو الشديد اليابس من كل شيء، ومنه قسب التمر، ليبسه، يتفتت في الفم، صلب النواة .

والمد، وهناك جزء للخضار والفواكه الموسمية، تعرض في المناثل ومفرده المنثل[١] وعلب الصفيح (التنك) كالتين أو البرشومي والحماط وغيرها. وبجواره موقع مخصص للبصل والثوم والبطاطس، وجزء مخصص لبيع منتجات سفوح السروات الغربية مثل الموز والكادي والريحان والغلف[٢]، وجزء مخصص للحرفين كالصباغة والنجارين والحدادين ومنتجاتهم من الصاغة والحلي وأدوات النجارة والحطب، والآت ومعدات الزراعة، ويوجد بالسوق من يعمل بصيانة الدراجات أو البسكليتات التي وردت في وقت متأخر، وهناك من تخصص ببيع الكتب والقرطاسيات وهو محمد المطوع. كذلك المرأة تشارك في هذا السوق ببيع الغلف والريحان والكادي، وما يخص المرأة واللحف والخرج ويصنعن السدو[٣] وهي كلمة محلية والمعنى المعروف لها النسيج، والمفارش الصوفية والبشوت والأكسية والجباب، وقد رأيت في طفولتي إحدى النساء تصنع السدو وتمارس عملها باحتراف ومهنية عالية ولها أدواتها وفنونها. وفي جوانب السوق تكثر المقاهي وأماكن الاستراحة لرواد السوق من غير أهل المنطقة، حيث يرتادها من لا يرغب في الإثقال على الناس، من هذه المقاهي: قهوة صالح الزيدي تعلو السوق من جهة جبل زبيدة وقهوة الحزنوي في حوش ابن مستورة وقهوة السعيدي، وقهوة الصعدي وقهوة دوبان[٤].

وهذا نص لأحد علماء القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، واسمه الفقيه أحمد الزيداني، ويذكر بعض طلبة العلم أن الأستاذ محمد بن ربيع الغامدي، نقله من مخطوط الفقيه المذكور ورغم أني لم أطلع على المخطوط ولا أجزم بصحته، لكنني نقلته هنا لأنه يساير الواقع التاريخي الذي سمعناه من الآباء والأجداد، وفيه وصف لأهل بلجرشي وسوقهم: "سبت بلجرشي ليس بين الطائف وريدة أكبر منها ولا أظهر[٥]، سورها من المرو الأبيض وله باب من جهة اليمن، وسوقها أعلى شأناً من

---

(١) جاء في لسان العرب لابن منظر: المنثلة: الزنبيل / ونثل كنانته نثلاً: استخرج ما فيها من النبل، وكذلك إذا نفضت ما في الجراب من الزاد.

(٢) جاء في لسان العرب لابن منظور: الغلف شجر يدبغ به مثل الغرف، وقيل: لا يدبغ به إلا مع الغرف. والغلف، بفتح العَين وكسر اللام.

(٣) جاء في لسان العرب لابن منظور، عن السدو أنه النسج كما في قوله: الحائك يسدي الثوب ويسدي لنفسه، وأما التسدية فهي له ولغيره، وكذلك ما أشبه هذا.

(٤) أشكرك يا عبدالله على هذا الرصد الجيد، وحبذا أن تتوسع في دراسة الحياتين الاقتصادية والاجتماعية في بلاد بلجرشي خلال الثمانين عاماً الماضية. (ابن جريس).

(٥) هذا الكلام مبالغ فيه، لأنني تجولت في أرجاء بلاد تهامة والسروات، ووقفت على بعض الأسواق الأسبوعية فيها، ووجدت في بعض الوثائق والمصادر والمراجع تفصيلات عن أسواق أسبوعية في مناطق نجران، وجازان، وعسير، والقنفذة، والباحة، ورنية، وتربة، والطائف وغيرها، وجميعا أشهر من سوق السبت ببلجرشي، وأقول إن الأسواق الأسبوعية في عموم البلاد التهامية والسروية تحتاج إلى دراسات عديدة، وعلى المؤرخين في هذه البلاد أن يدرسوا هذا الميدان الحضاري المهم. (ابن جريس).

سوق بيشة ورنية ويجلب لها التمر والقسب من بيشة ورنية وتربة، والتمباك الذي شاع في هذه السنين من وديان ريم وسواه في تهامة، والسلاح الذي يصنع في بعض جهاتها، والبر وسكر الشام وسائر مطالب التجار من القنفذة، ولا يجلب الجوخ والصولي إلا تجارها لعلو ثمنه، أهلها من غامد وبينهم من أخلاط الناس من يقيم بينهم حيناً للتكسب في سوقها، وعرافتها لدى الفرحة من غامد، هم عليها من سنين، وفيها جمع من الفقهاء ولهم ولع بالعلم والفقه فتجد داخل السوق معلامة كبيرة وفي أشرافه الشامية معلامة أخرى . هي مثل بلدان السراة لا قيظ يقيظ فيها ولكن شتاؤها شتاء لا يحتمله سوى أهلها ومن جانسهم من غير أهلها، وهم مشتغلون بالتجارة، وفيهم من يمدر المدر فيبذر المابية حنطة عندهم والصوب والشعير والذرة والقضب وربما زرعوا قصب السكر، ومنهم من يكتري الحقنة وأكثر في العذية وسواها يستزرعها للتكسب من طلعها، على ما بأيديهم في السبت وفي أشرافه، حيث الواديين سيل البحري وسيل الشرقي لها في بحريها جبل حزنة الذي يزعمون أن ملكاً شطره بجناجه فانشطر فغار نصفه، ولها في نجديها حمى هو حمى شكر وأظنه المعروف في كتب السير والله أعلم) .

ونجد النساء الجرشيات، أو الغامديات بشكل عام يساعدن الرجل في العمل بالمزرعة إضافة إلى عملهن المنزلي ويذهبن للاحتطاب وجلب المياه من الآبار، ولكل قرية أو عدة قرى حمى تقام الحروب لأجل المحافظة عليه، ومنها جبل شعران، سألت إحدى النساء عن هذا المكان فقالت : (كنا نذهب للاحتطاب من جبل شعران وكان الذهاب إليه مغامرة، فكثير من السبل التي نطرقها تشرف على أماكن غائرة، وحينما نسير على ممر يشرف على هول[1] . نركز أنظارنا على الطريق حتى لا نصاب بالدوار، وأثناء سيرنا نسمع صوت خرير مياه ينبع من عقبة حزنة، وصوته يصل إلى بيوتنا أثناء الليل بوضوح) . ويمارسن بعض الأعمال الزراعية البسيطة، وكانت تشمل معلاة الوادي إلى أسفل وادي شكران وما يسمى بالسيل البحري والسيل النجدي، لأن بلجرشي يطلق عليها وادي سيل[2] .

وبعض القرى حتى عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) كانت كما هي وأتذكر أوضاعها جيداً . يوجد بكل قرية مسجد يعتبر مقر التجمع والتشاور ويفتح بابه على ساحة أو باحة، وبعض هذه الباحات يوضع فيها حجارة جرانيتية كبيرة تستخدم للجلوس . وحول

---

(١) الهول : المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه كهول الليل وهول البحر والجمع أهوال . المصدر: ابن منظور، لسان العرب. ج١١، ص ٧١١ .

(٢) يا عبدالله على ذكرت موضوعات عديدة : وصوراً من مشاركة المرأة في المجتمع، وبعض العقبات التي تقابل الناس في كسب أرزاقهم، لكنك لم تفصل في هذه الجوانب الحضارية المهمة . وأقول إن تاريخ المرأة في عموم بلاد غامد أو السروات خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجديدة، وتستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة . أما الأهوال والمشاكل التي تقابل الناس في حياتهم العامة أثناء ممارسة أعمالهم وكسب أرزاقهم فهي الأخرى جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

المسجد تُبنى البيوت وتكون غالباً متلاصقة وبينها طرق ضيقة يُطلق عليها (عادة) لا يزيد عرضها عن مترين بحيث تسمح للناس والمواشي بالسير عبرها. ويوجد بين كل بيت والآخر طريق ضيق للمارة وهو ما يسمى المسراب ترصفه الأعشاب . ويستخدم لبناء البيت الحجر الجرانيتي الصلب ولتسقيفها خشب العرعر . ويكسى من الداخل بطين ويدهن بمادة الشيدة وهي تربة تؤخذ من الجبال إذا خلطت بالماء أصبح لونها أبيض ناصع، وله توزيع عام متعارف عليه، مقدمة البيت توضع فيه المواشي إن كانت قليلة، أو في السفل أو الدور الأرضي إن كان البيت من دورين وكانت كثيرة [١] .

وأساليب أهل البلاد في حل بعض مشاكلهم، أنه عندما تحدث مشكلة أو حادثة تستلزم عقد اجتماع صلح، والجرشيون لهم أسلوب لا يختلف عما يقوم به أهالي منطقة الباحة عموماً . ففي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حدث أن استقبل أهالي بني ظبيان أهالي بلجرشي في سوق الإثنين بقرية القرن لإعطاء البيضاء . فقال الشاعر عبدالله بن سعيد الزبير بعد كلمة مختصرة نصها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله - ﷺ - وبعد أن أنصت له الجميع قال: اسمعوا يلام يانقالة الكلام، إن البيضاء فال الله، ورسول الله، وفال ملائكة عرش الله، ثم فال رجال الله الصالحين، وفال بلجرشي من جبر الله يسفيه إلى بيت الفقيه ومن هجة البنان إلى شفا غيلان، وقال بني ظبيان من سعيدة إلى البريدة، ومن المشرق إلى المغرب، وفال غامد من رهوة البر إلى النقب الأغبر، وفال زهران من سيحان إلى عيسان، وفال من يبديها ويستبديها، وأقول إن لي حقاً فيها) [٢] . وأنشد قصيدة شعبية طويلة، هذا مطلعها:

شلت البيضاء وأنا أقسم وهي محسوبة ألف راس — كورجة في كورجة تغطي بني عامر رجال وحلة
ورجال أولاد بارك كورجة في كورجة لها — ثم للمسعود نص الكورجة والنص بني عبيد
وأهل دار السوق فيها اربع لحام لهم من أربعين — وأربعين أبا عليها سوق سايل واعتمر سبتانا
وثلاثين من أقصى البدو تدخل ساحة المجدول — والمدان أي قسمهم عشرين راساً والصقاع كماها

---

(١) تاريخ القرى والعمارة في بلاد السروات وتهامة خلال القرون الماضية من الموضوعات المهمة ويجب دراستها، ومازلنا نشاهد بعض القرى التراثية في هذه البلاد وقد أصاب أغلبها الخراب والدمار، وهي تستحق الرعاية والترميم، كما أنها تستحق الدراسة والتوثيق. ونظام العمارة قديماً وحديثاً يستحق أيضاً البحث والمقارنة ثم الحفظ والتوثيق حتى يطلع عليه أبناؤنا وأحفادنا . (ابن جريس) .

(٢) الغامدي، علي حرفوش، السيرة في علوم الديرة، ص ٢٧٥. يا عبدالله أنت فقط تحصر حديثك على أمثلة قليلة من حياة الناس الاجتماعية والحضارية، وهذه الموضوعات التي أشرت إليها مهمة ويجب دراستها وتوثيقها، كما يوجد هناك الكثير من الوثائق المحلية التي تدعم أقوالك ورواياتك . (ابن جريس) .

ونجد بعض المصادر تذكر دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تغيير بعض الجوانب الاجتماعية والتعليمية في بلجرشي، فقد كان هناك من يشرف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من أهل الرياض عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) [١] وقبل أن تنتظم أعمال الهيئة بشكل رسمي كان السفور شائعاً فالنساء كن يمشين في القرى والأسواق، ولم يكن هناك ما يخل بالشرف، بل كان الدين ثابتاً في الوجدان والمعاملة الحسنة عامة بين الناس، ثم تولى بعض رجال بلجرشي تأسيس حركة الإخوان التي سعت إلى تبديل بعض تلك العادات، وواجهت في البداية معارضة عظيمة من القبائل فتحمل المصلحون في سبيل ذلك كثيراً من الأذى والإهانات واحتسبوا ذلك عند الله ثم حصل لهم الدعم والمساندة من ولاة الأمر فتأسست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفروعها في المنطقة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) برئاسة الشيخ ناصر بن سعيد آل مغرم بن علي الجعبري [٢] . هذه الإدارة باشرت أعمالها بالنهي عن بعض البدع والمنكرات[٣] كما نهت عن زيارة قبر لقمان في قرية حزنة الذي كان يزار للتبرك به حتى وقت قريب[٤] . وما ساعد الأهالي على الالتزام هو انخراط عدد من كبار رجالات غامد وزهران للعمل في فروع الهيئة بالمنطقة وهي : هيئة الباحة ورئيسها الشيخ علي بن عبدالرحمن بن جنيدي وهيئة المندق ورئيسها الشيخ علي بن عبدالرحمن بن حامد الدلمان، وهيئة العقيق ورئيسها الشيخ محمد بن أحمد المنعي، وهيئة المخواة ورئيسها الشيخ محمد بن علي بن محمد وهيئة بني سالم ورئيسها الشيخ محمد بن عبدالعزيز صقر، وهيئة بني كبير ورئيسها الشيخ محمد بن سعيد بن سويعد، وهيئة البشهم ورئيسها الشيخ عبدالخالق بن سعيد[٥] . وذكر علي بن صالح السلوك صاحب المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، أن رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية، تأسست سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) وتضم (١٥) مركزاً هي: المندق، وبلجرشي، وقلوة، وغامد الزناد، وبني كبير، وبني ظبيان، والحجرة، والعقيق،

---

(١) علي السلوك، وثائق من التاريخ . ص ٤٠٦، ٤٠٧ .

(٢) الشيخ ناصر بن سعيد بن مغرم : عرف بـ ناصر بن مغرم القريعي منسوباً إلى قرية القريع، ذاع صيته كونه من كبار رجال الدين والعقلاء ومن أهل الحل والعقد في المنطقة، وكان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تأسيس المدرسة السلفية مع بعض المشائخ في المنطقة . وكان في مقدمة مستقبلي الملك سعود غفر الله له حين زيارته لبلجرشي عام (١٣٧٣هـ) .

(٣) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج٢، ص ١٤٤/١٤٥ .

(٤) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٨٩ .

(٥) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٦٨/٣٧١/٣٧٤ .

وبالشـهم، والمخواة، والقرى، وعرا، والرهوة، ودوس، وبني حسـن[١]. وقد وجدت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل دعم من قبل الملك سـعود، وكان الشـيخ ناصـر في مقدمة مسـتقبلي الملك وجلسـائه حين زار المنطقة عام (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) أثناء ما كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن السويلم أميراً على المنطقة من (١٥/ ٩/ ١٣٦٧هـ وحتى ١٠/ ٩/ ١٣٧٩هـ) [٢].

عندما بدأ التعليم النظامي لم يكن في المنطقة عموماً سـوى مدرسـة الريحانية المتوسطة في بني ظبيان[٣]. وفي عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) افتتحت مدرسة زراعية متوسطة في بلجرشـي ضـمن خمس مدارس في أنحـاء المملكة[٤]. وفي عـام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) أنشـأت مندوبية تعليم البنات في الباحة، وكانت مندوبية البنات في بلجرشـي تابعة لها [٥]. وفي عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) افتتح المعهد العلمي في بلجرشي، وقد أمر الملك سعود بن عبدالعزيز بمكافآت شـهرية يتقاضاها طلاب المعهد والطلاب المغتربون أضيف إلى مخصصاتهم السكن والإعاشة [٦]. وقبل بدء التعليم النظامي كان بعض أبناء المنطقة يتلقـون العلم على معلمي ومشـائخ مكة المكرمة كما قال إبراهيم الحسـيل: (كنا نحن الجماعة من غامد وزهران نجلس في حلقة الشـيخ صـالح الفلسطيني بالمسجد الحرام في مكـة المكرمة [٧]. لأن التعليـم في المنطقة عموما، لم يكن متطوراً كما نراه اليوم، ولم

---

(١) علي السلوك الزهراني، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران)، ص ٤٧ .

(٢) علي بن صـالح السـلوك، غامد وزهران ... السـكان والمكان، ص ٢٣٣ . ياعبدالله كعادتك في الصفحات السابقة تذكر موضـوعات عديدة ولا تعطيها حقها من البحث والتوثيق، فذكر موضـوع الاختلاط بين الرجال والنسـاء في عموم جنوب المملكة العربية السـعودية موضـوع كبير، وكان الناس يمارسـون حياتهم بشـكل جماعي في أعمالهم الزراعية، والرعوية وغيرها . ومثل هذا الموضـوع في السـابق واللاحق يسـتحق أن يدرس دراسـة علمية منصـفة .كذلك حديثك عن بعض المؤسسـات الإدارية، وذكرت فقط إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك مؤسسـات إدارية قديمة وتستحق الدراسة والتوثيق ليس في بلجرشي ولكن في عموم بلاد غامد وزهران . وللمزيد انظـر غيثـان بن جريس . القول المكتـوب في تاريخ الجنـوب (الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس)، ص ١١٨-١٥٦، للمؤلف نفسه، منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات)، ج١، ص ١١١ - ١٤٣، محمد بن أحمد معبِّر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-ق١٥هـ/ ق٨- ق٢١م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، ج٢، ص ٦٩٧-٧٩٤. (ابن جريس) .

(٣) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ح٣، ص ١١٩. للمزيد عن بدايات التعليم النظامي في منطقة الباحة، انظر غيثان بن جريس: منطقة الباحة (دراسـات، وإضـافات، وتعليقات)، ج١، ص ٣٨٧-٣٨٩. (ابن جريس) .

(٤) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ح٣، ص ١٩٧.

(٥) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ح٣، ص ١١١.

(٦) آل سعود / سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة " . ح٣، ص ٢٧٧.

(٧) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ص ١٢٧ .

تتوفر أدواته الحديثة حيث كانوا يستخدمون ألواحاً تصنع من خشب الغرب للكتابة عليها بأقلام تؤخذ من نبات الحلفا والقصب، أو يستخدم الفحم، والحبر يؤخذ من دخان السراج بعد تخفيفه بالماء ومن مادة تتكون من آثار دخان المصابيح (الأتريك) تسمى "الوار" [١] . ولعل هذا يبين لنا مقدار الجهد الذي بذله أهالي المنطقة لتعليمهم . ورغم الصعوبات نشأت بعض الكتاتيب في عدد من القرى منها كتاب الفقيه الجحفاني، وكتاب آل حسيكي في دار السوق . وفي قرية البركة كتاب الفقيه حسن بن عبدالمعطي وكتاب علي بن عبد المعطي وكتاب عبدالرحمن بن علي عبدالمعطي وكتاب حسن بن علي عبدالمعطي. وفي قرية المسعود وكتاب الفقيه عبد الرحمن مساعد. وفي قرية المكارمة كتاب الفقيه الأعمى . وفي قرية الجلحية كتاب الفقيه أبو حشيش . وفي قرية الحمران كتاب الفقيه عبدالعزيز قحوش[٢] .وكتاب الشيخ سعيد آل مغرم بن علي الجعبري، في قرية القريع . كما أن بعض الأسر عرفت باتجاه أبنائها إلى التعليم وتحصيله، مثل: أسرة آل عبد المعطي بقرية بني عبيد، وأسرة الفقهاء في قرية البركة، وأسرة آل يوسف في قرية مقمور، وأسرة آل زين في بني سالم، وأسرة آل أبي حشيش في قرية الجلحية، وأسرة آل هباد، وأسرة آل حسيكي[٣] .وأسرة المنصوري التي تقيم في قرية المصنعة، وتعتبر من أشهر الأسر العلمية في بلجرشي وفي المنطقة عموما .

ومؤسس المدرسة السلفية في بلجرشي هو الشيخ ناصر بن مغرم بصفته رئيساً للهيئات بالمنطقة وقد سار على خطى والده الشيخ سعيد بن مغرم وجده مغرم الجعبري، اللذين أسسا قبله الكتاب المسمى " بيت عنقة " ببلجرشي، فوالده قام بها بصفته من رجال العلم الذين درسوا في زبيد باليمن، وجده تبرع بالمال والمبنى لا يزال قائماً كمبنى من دورين، لكنه مهجور. أما بالنسبة للمدرسة الشهيرة " المدرسة السلفية" التي وجدت كل التأييد والمساندة من الملك سعود، ومن ساعد الشيخ ناصر في تأسيسها، الشيخ محمد جماح الذي تولى إدارتها فيما بعد . وهذا القول ثابت في كتاب (غامد وزهران) للأستاذ الحسيل، الذي تحدث عن دور الإخوان المؤسسين لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأسيسهم أول مدرسة نظامية في بلجرشي[٤] .

---

(١) الحريتي، سعدي، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ). ص ٣٢ .

(٢) الحريتي، سعد، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ) . ص ٣٠ .

(٣) الحريتي، سعد، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة من عام (١٢٥٠هـ حتى عام ١٤١٨هـ) . ص ٣٢ .

(٤) الحسيل، إبراهيم، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان، ج١، ص ٣٧٣- ٣٧٤ . للمزيد عن التعليم الأهلي والمدرسة السلفية في بلجرشي . انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص ٢٤٠-٢٤٦، محمد بن معبِّر، الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، ج٢، ص ٧٧٣- ٧٧٨ . (ابن جريس) .

ونجد الملك سعود يذكر في خطابه المنشور في جريدة أم القرى عدد (١٥٧٢) في (١٣٧٤/١١/٨هـ) أهمية المدرسة السلفية في بلجرشي، فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم . من سعود بن عبدالعزيز الفيصل آل سعود إلى أبناء شعبه العزيز: إن المدرسة السلفية التي أسست في بلجرشي من قبل ناصر بن مغرم ومحمد بن جماح، والتي مناهجها تعليم الدين الإسلامي والعقيدة السلفية، وإفهام الناس الحق من الباطل واجتناب ما حرم الله وتحليل ما أحل الله . إن هذه المدرسة قد أسسها هؤلاء الرجال على حساب أنفسهم وعلى ما تبرع به أهل الخير . وبعد زيارتنا لهذه المنطقة وتفقدنا لهذه المدرسة، رأينا ما سرنا من أساتذتها وطلابها مما تحلوا به من العقيدة الصالحة والدعوى إلى الله، وإقبال الناس على هذه المبادئ الشريفة السليمة، التي نرجو أن تزداد وتمتد إلى جميع أنحاء المملكة، التي لا قوام لها ولا عز لها إلا بهذه الدعوة والعقيدة الصالحة، والعمل بكتاب الله وشريعة نبيه (ﷺ) وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله ولا يمكن حفظ كيانٍ أو دفاعٍ عدو إلا بالتمسك بدين الله وبأحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ، فإن قمنا به قولاً ونطقاً باللسان وعملاً بالأركان وعقيدة بالجنان، فقد أدينا الرسالة وحصلت لنا المنفعة وكافحنا العدو بالسلاح القوي . ألا وهو السلاح الرباني الذي لا يعادله أي سلاح أو أي قوة، قال الله في كتابه الكريم: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]. فإذا دافعنا عن دينه دافع عنا، وإذا أهملناه أو تكلمنا مجرد كلام وتمن، فهذا لا ينفعنا بشيء، كما في الحديث : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) فنرجو أن نكون ممن قال واعتقد بقلبه وصدقته أعماله . وبهذه المناسبة فقد أمرنا أن تكون نفقات هذه المدرسة السلفية الصالحة التي لمسنا منها حب الخير والدعوة إلى الله. أن تكون نفقاتها من أساتذة وطلابه على نفقاتنا الخاصة، وأن نرعاها حق الرعاية، كما أمرنا بإشادة طابق ثان لبنايتها لإيواء النائين عن البلاد من طلابها، كل هذا نرجو به التقرب إلى الله وتعزيز الدين ومن قام بالدين ونرجو أن نرى في أنحاء مملكتنا في المدن والقرى من يقوم بهذه الدعوى على غرار ما أمر الله به ورسوله وتطبيق ما جاء في الكتاب والسنة، ونحن نساعدهم ونؤيدهم لأن المكافح للجهل ولأهل الزيغ والفساد والذين لا يرعون للدين مكانة، هو الجند الرادع الأساسي لهؤلاء. [وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]. والذي أوصي به نفسي وشعبي، هو تقوى الله سبحانه وتعالىَ في السر والعلانية والميسرة والمعسرة، والاعتصام بدين الله، وتطبيق سنة رسول الله (ﷺ) ، وعدم الميل إلى ما يخل بالدين وتقاليد الإسلام ومبادئنا العربية الشريفة التي يؤيدها الإسلام . فإن عملنا بذلك نجحنا في أمر ديننا ودنيانا، وإن تركناه. لا سمح الله. فما أهوننا على الله كما قال الله في كتابه العزيز

[إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]، وهذا لا يمنع من اتخاذ كل قوة في البلاد عسكرياً أو مادّياً أو معنوياً، وكل ما فيه رقي للبلاد والنهوض بها في شتى مرافق الحياة التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي، وأرجو الله أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا وإياكم الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يريني فيكم ما يسرني من صلاح دينكم ودنياكم، ويجعلنا وإياكم هداة مهتدين أعواناً على الحق وعلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه فهو حسبنا ونعم الوكيل[١] .

ومن الفنون الشعبية والأدبية في بلاد بلجرشي: فمن العرضة وإلقاء قصائد الشعر، وهي قصائد مسجلة للأحداث ومعبرة عن رأي الجماعة إذ لم تجد معارضة في وقتها ومن الممكن أن تحدث بعض التغيرات الاجتماعية السلبية والإيجابية[٢] . وأيضاً لعبة المهشوش أو الشبكي، حيث يلعبها الرجال وبين كل رجل ورجل امرأة لكن يلتزم الجميع فيها بالأخلاق الحميدة فلا يصدر ما يخدش الحياء العام، وقد منعها الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) [٣] وهو فن راق بكل ماتعنيه الكلمة، لأن القصائد التي تُقال في هذه العرضات ليست كأي قصيدة ولا يمكن لأي شاعر أن يقف في ميدان الاحتفال التي تقال فيه . فالصعوبة ليست في البدع وإنما في الرد، حيث يجب أن تكون قافية الرد هي نفس الحروف الخمسة الأخيرة من البدع ولكن تختلف في المعنى، ومثال ذلك قول الشاعر دغسان أبو عالي[٤] .

---

(١) آل سعود، سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود " الوثيقة والحقيقة : . ج١، ص ٢٧٨ . يا عبدالله مازال هناك عشرات الوثائق التي تذكر صوراً تاريخية وحضارية عن بلاد بلجرشي وآمل منك أو من أي باحث في بلادكم أن يجمع هذه الوثائق ويدرسها ويوثقها . (ابن جريس) .

(٢) العمر، معن خليل، علم اجتماع الفن . ص ٧٧ . من يدرس تاريخ الشعر الشعبي في بلاد تهامة والسراة يجده مليء بالجوانب الإيجابية والسلبية، لكنه يعد مصدراً من مصادر كتابة التاريخ، ومن يستخدمه يجب أن يكون حذراً في فهمه وتحليله وغربلته . (ابن جريس) .

(٣) أرسل الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود رسالة طويلة من صفحتين إلى الشيخ ناصر بن مغرم (رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في بلاد غامد وزهران عام (١٣٧٣هـ) . شرح فيها ما وصله عن بعض الأمور الغير حميدة خاصة في لعب المهشوش ونزول النساء إلى الأسواق والتحدث مع الرجال، وأمر بمنعها .

(٤) الغامدي، علي حرقوش، السيرة في علوم الديرة، ج٨٧، ١١٨. هذه الفنون جديرة بالجمع والدراسة، وكان للأستاذ السلوك قصب السبق فأصدر بعض المؤلفات الجيدة عن الفنون الشعبية في منطقة الباحة . (ابن جريس) .

البدع	الرد
يا سلامي على ذا في جميع المعالي ينوجد	جاك فيفا عريب الخال في نسبته وأبا وجد
عربته قائمة والمال في كل معنى ما يجنه	لبس أبوصقر ذا مايكريه شيء وهرجه مايحنه
ما تسمى من الله عامري لين عمر مذهبه	عنده الخيل والبندق وعند سيوفا مذهبه
وإن طلبت الشيم والشور من عندهم فابشر بها	وبيار الحوادث لا تملت يسوق بشريها
وإن طلبت المجالس تلتقي كيفه وأعلام هيلة	يعرف البجرة المحقا وفيه يهبل أعلام هيلة
وقريش الهول ترسم على ما يقولوا بني عامر	وانحن لاقال كيف الشور والله لنبني بني عامر
مثل ما قال الأول سل مجرب ولا تتشد حكيم	عندنا الشور وابو صقر في يده الفتل الحكيم
يخزي الله كيد إبليس والحساد الله لا يقيمه	يوم قام المقدر هب لكلا من الشيخان قيمة
كل ما عاين أهل العز يزداد غيظه والردى	قيمته عندنا من حسن طبعه ذهب وزمردا
من كثير الحزن تبيض عينه وكن أبوه مات	لجل حنه كما درعاً وثيقاً صنوعه بوهمات
لا نصى الضيف يلقونه معي كنهم يلقوا ملك	لنقول افترح وأبشر ترى مالنا والقوم لك

أما الفن المعماري : فلن أستطيع أن أفصل في هذا الجانب أكثر مما جاء في كتاب: " كنوز غامد وزهران العمرانية " للمهندس الحسيل الذي خصصه للفن العمراني بالمنطقة عموماً، وأجاد فيه، ومن يرغب الاستزادة يمكنه الاطلاع على هذا المرجع، ولكن لي تعليق من الناحية الاجتماعية، فأقول إن العوامل الاجتماعية لها دور كبير جداً في أسلوب تصميم المنازل ومساحتها واختيار موقعها، فكلما ازداد رب الأسرة ثراءً أو وجاهة كأن البيت أكبر والزينة الخارجية والداخلية بارزة، إلى جانب حسن اختيار الموقع أما أن يتوسط القرية أو يتخذ موقعاً استراتيجياً دفاعياً، وأورد نصاً من كتاب: "علم اجتماع الفن"، قال فيه : " القيم الاجتماعية العربية التي تؤكد على الحشمة والكرم قد أثرت على طراز الأزياء في الملبس، وصور البناء " تصميم المنازل وهندستها " فالغرف يجب أن تكون واسعة المساحة، وأن تكون هناك غرف خاصة باستقبال الضيوف [١] .

---

(١) العمر، معن خليل، علم اجتماع الفن . ص ٨٥ . يا أستاذ عبدالله أنت تذكر موضوعات مهمة وجديرة وتستحق الجمع والبحث والتوثيق . وما ذكرت عن العمران وما ذكر المهندس الحسيل فقط صور قليلة ومحدودة، ونتطلع منكم أن تدرسوا تاريخ العمارة في بلادكم منذ عصور قديمة، وكيف تطورت، وماهي الفنون والمواد المستخدمة في العمارة، وأنواعها، وأهدافها . ومن يتجول في بلادكم تهامة وسراة فإنه سوف يشاهد مئات الأنواع والأشكال المتباينة في أحجامها، ومواقعها، وفنونها، وطرق الاستفادة منها . وربما لو بحثتم عن مخطوطات أو مدونات أو وثائق في هذا الجانب فقد تفيدكم في دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري المهم، الذي يعكس صوراً مهمة من تاريخ الأرض والناس. (ابن جريس) .

ويوجد في بلاد بلجرشي بل منطقة الباحة الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغوية الجديرة بالدراسة والاهتمام، واذكر في الصحفات التالية بعضاً من هذه الكلمات: **(١) الغبرة:** الأرض الزراعية المهملة. والغبرة (بسكون اللام وفتح الغين والباء والراء) وفي مختار الصحاح الغبراء الأرض [١] . وفي لسان العرب: (الغبراء والغبرة أرض كثيرة الشجر) [٢]. **(٢) الجفون:** الشجر الكثيف الملتف . وجاء في المحكم: (الجفن شجر طيب الريح، وهذا الجفن غير الجفن من الكرم، ذلك ما ارتقى من الحبلة في الشجرة فسمي الجفن لتجفنه فيها والجفن أيضاً من الأحرار نبتة تنبت متسطحة وإذا يبست تقبضت واجتمعت. ولها حب كأنه الحلبة وأكثر منبتها الآكام وهي تبقى سنين يابسة وأكثر راعيتها الحمر والمعزى، قال وقال بعض الأعراب هي صلبة صغيرة مثل العيشوم ولها عيدانٍ صلاب رقاق قصار وورقها أخضر أغبر ونباتها في غلظ الأرض وهي أسرع البقل نباتاً إذا مطرت وأسرعها هيجاً) [٣]. **(٣) الكدرة :** التربة الزراعية المعقودة. وفي معجم البلدان ج٤، ص ٣٢٦، القلاعة الضخمة من مدر الأرض المثار. **(٤) الحقينة:** اللبن الحامض ويستخرج منه الزبد. في لسان العرب ج١٣، ص ١٢٦. حقن اللبن في السقاء يحقنه حقناً صبه فيه ليخرج زبدته حقنته أحقنه بالضم جمعته في السقاء وصببت حليبه على رائبه واسم هذا اللبن الحقين . وفي موضع آخر من " لسان العرب "ج١٣، ص ١٢٥.حقن الشيء يحقنه حقناً فهو محقون وحقين حبسه". **(٥) الحبلة:** الأرض المحملة بالثمار والحبلة : وهي الأرض الكثيفة الشجر، جاء في " المغرب" : (الحبلة الكرمة وهي شجر العنب واحدته حبلة) [٤]. **(٦) آبة :** لفظ ينادى به الابن أباه ومشهورة في بلجرشي وهي في الأصلٍ لبني هلال بن عامر بن صعصعة، فكما جاء في سير أعلام النبلاء : (سمعت علياً وكان منٍ أفصح الناس يقول دفت إلينا دافة من بني هلال فخرج صبي فقال يا أبة إن فلاناً دفعني في حومة الماء) [٥]. **(٧) أثاره:** قصده أو نيته وأثاره كذا أي قصده كذا. **(٨) أدني:** أعطيني، وأديٍ لي، إدغام اللام في النون وهي لهجة السودة في جنوب الجزيرة العربية وتنطق حالياً في مصر (ادينـي). **(٩) أفلح :** بكسر اللام : اذهب في حالة الأمر) وبفتح اللام : راح، وفي التعريفات ج١، ص ٥٦٣) الفلاح الظفر وإدراك البغية. **(١٠) أقبل:** قدم أو أتى وتأتي

---

(١) الرازي، محمد، مختار الصحاح، ج١، ص ١٩٦ .
(٢) لسان العرب، ج٥، ص ٦ .
(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ج٧، ص ٤٥٧ .
(٤) المغرب في ترتيب المعرب، ج١، ص ١٧٨ . لسان العرب، ج١١، ص ٥٧١ .
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٥٧١ .

بصيغة الأمر (أقبل علينا) أي تعال. **(١١) احن:** أي نحن . **(١٢) بالك:** هل تتوقع ؟، وتستعمل في حالة الشك والرجحان مثل قولهم : (بالك يسافر) " هل تتوقع أن يسافر؟ وتستعمل في المغرب ومصر . **(١٣) بد قله :** أي ابدأ بالقول له . **(١٤) بنصلي :** أي سنصلي، ولهجة صنعاء للمخاطب والمتكلمين حين يسألون ماذا تفعلون هنا ؟ يكون الجواب بنصلي وكذلك يستخدمها أبناء حضرموت في اليمن، وتستعمل حالياً في مصر . **(١٥) تكرفس:** تداخلت أرجله في بعضها، وتدحرج الرجل من جبل ولم يعد يسيطر على نفسه . وفي (لسان العرب ج٦، ص ١٩٦) تكرفس الرجل إذا دخل بعضه في بعض . **(١٦) ثاره:** اتبعه، أو خلك في ثاره أي تعقبه أو اقتفي أثره وتأتي من الثأر أي حق مطلوب متابع. **(١٧) ثم:** أي هناك، وتطلق على مكان بعيد نسبياً ومشهور مع الإشارة باليد، وإذا لم يكن معروفاً للسائل استعيض بها بتسمية المكان. فيقال : أين فلان ؟ والجواب : ثم. أو في المكان الفلاني . **(١٨) ثماله :** هي حائط يُبنى على سفح الجبل للأرض الزراعية لتحديدها ولحفظ المياه. وجمعها ثمائل، وهي حوائط من الحجر الجرانيتي، تبنى للحفاظ على التربة الزراعية من التجريف وقد أثبتت جدواها أفضل من الخرسانة المسلحة التي حاول البعض أن يستعيض بها عنها لأنها تسمح بتسرب المياه مع المحافظة على التربة، وتسمى المصاطب في بعض المناطق . وفي (لسان العرب ج١، ص ٩١) الثمالة الماء القليل يبقى في أسفل الحوض أو السقاء أو في أي إناء كان والمثملة مستنقع الماء وقيل الثمالة الماء القليل في أي شيء كان **(١٩) جيد:** أي سحب بقوة، وجذب، جيد الشيء أي جذبه وتستعمل في المغرب. (٢٠) حسّك: أي انتبه .

(٢١) حش بفتح الحاء: تقال للشيء الذي يختفي بسرعة، على سبيل المثال (فأر يهرب إلى جحره) فيقال بفتح الحاء " حَش هنا " أي دخل جحرة " . وحُش بضم الحاء: وبصيغة الأمر فيقال : (حُش هنا) أي (ادخل هنا للاختفاء) واشتقت منها كلمة الحشوة أو المحشي، وتستعمل في المغرب. **(٢٢) الخبزة :** خبزة الملة وفي " لسان العرب ج٥، ص ٣٤٣) خبز الخبزة الطلمة وهي عجين يوضع في الملة حتى ينضج والملة الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار والخبز وفي (مختار الصحاح ج١، ص ١٦٤) الطُرموس بوزن العصفور خبز الملة . **(٢٣) دغل:** أي مزحة ثقيل، بكسر الدال والغين، وتطلق على من يبالغ في المزاح باستخدام يديه، فينتقم مخفياً قصده ويخلط الجد بالمزاح . ويقال: دغله أي ضربه في مقتل، أو طعنه غدراً وليس وجهاً لوجه . **(٢٤) دمن :** أي مخلفات البهائم وتستخدم لتسميد الأرض . والدمنة مرمى الروث، يطلق على المكان الذي ترمى فيه المخلفات الحيوانية **(٢٥) ذيك :** أي تلك، وتعني تلك إشارة للمؤنث

(للشيء البعيد) أما المذكر فالإشارة له بـ (ذاك ذلك) . **(٢٦) رخمة :** طيور جارحة تأكل الجيف، ولا تستطيع أن تصيد، والمعنى هنا أنها تقال للرجل الكسول أو الفاشل . وفي (لسان العرب ج١٢، ص ٣٩) الرخم نوع من الطير واحدته رخمة موصوف بالغدر، وفي (ج٣، ص ٣٩) الرخم طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وهو اسم جنس وواحدته رخمة، وتطلق على الإنسان الضعيف في قوله وعمله . **(٢٧) الركيب:** الأرض الزراعية التي تسقى بمياه الآبار وهي عكس العثرية التي تسقى بمياه الأمطار، وفي (لسان العرب ج١، ص ٤٣٣) الركيب المشارة وقيل الجدول بين الدبرتين وقيل هي ما بين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي ما بين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة . **(٢٨) الرواح:** أي الذهاب، وفي (لسان العرب ج٢، ص ٤٦٤) الرواح قد يكون مصدر قولك راح يروح رواحاً وهو نقيض قولك غدا يغدو غدواً . **(٢٩) الربع :** يطلق على حمى القرية ومرعاها، وغالباً ما يكون تلاً مرتفعاً . في (معجم البلدان ج٣، ص ١٠٩) الربع بالكسر وهو المرتفع من الأرض وقال عمارة هو الجبل الواحد ريعة والجمع رياع ومنه قوله تعالى: [أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ] . وفي (ج٨، ص ١٣٩) الريع المكان المرتفع وقيل الريع مسيل الوادي من كل مكان مرتفع. **(٣٠) زيك:** أي مثل حالك، (اعطه زيك) أي(اعطه مثل حالك) . **(٣١) سرح :** أي خرج في الصباح الباكر، وفي (لسان العرب ج٢، ص٤٧٨) يقال سرحت الماشية أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى سرح المال نفسه إذا رعى بالغداة إلى الضحى السرح المال السارح ولا يسمى من المال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح وقيل السرح من المال ما سرح عليك يقال سرحت بالغداة وراحت بالعشي ويقال سرحت أنا أسرح سروحاً أي غدوت. **(٣٢) شعطة أو شحطة :** ضربه بقوة بعصا طويلة أوسوط، ضربة تبين بالجلد أثراً وأساس الكلمة شحطه ولكن بدلت الحاء عيناً وهذه هي لهجة هذيل وتسمى (فحفحة) وقد قرأ ابن مسعود – رضي الله عنه- "عتى" (حتى) . **(٣٣) شعف:** أي حدود الجبال، جهة تهامة، **(٣٤) صدر:** أي ما بين الشعف والسهل وفي (لسان العرب ج٤/ ص ٤٤٥) والصدر مقدمة كل شيء وأوله. **(٣٥) عثري :** الأرض التي تسقى بالأمطار، وفي لسان العرب، ج٤، ص ٥٤١ قيل هو من عثري النخل سمي به لأنه لا يحتاج في سقيه إلى تعب بدالية وغيرها كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه فكأنه نسب إلى العثر، وفي (ج١٤، ص ٣٩٣) المسقوي من الزرع ما يسقى بالسيح والمظمئي ما تسقيه السماء وهو بالفاء تصحيف وفي حديث معاذ في الخراج وإن كان نشر أرض يسلم عليها صاحبها فإنه يخرج منها ما أعطي نشرها ريع المسقوي وعشر المظمئي المسقوي بالفتح وتشديد الياء من الزرع ما يسقى بالسيح والمظمئي ما تسقيه السماء وهما في الأصل مصدراً أسقى وأظمأ أو سقى وظمئ .

(٣٦) علو: أي غرفة خاصة، وفي (مختار الصحاح، ج١، ص ١٩٠) العُلِيّة بضم العين الغُرفة والجمع العَلالي . **(٣٧) عنقل :** أي تعنقل أو عنقله أي أعيق سيره، أو عطله عن سيره. **(٣٨) غدا:** أي اذهب، وفي (لسان العرب ج١٠، ص ٢٩٣) في حديث داحس والغبراء أن قيساً أتى حذيفة بن بدر فقال له حذيفة ما غدا بك قال غدوت لأواضعك الرهان أراد بالمواضعة إبطال الرهان، وفي (ج٦، ص ١٧٦) فأطعمته حتى غدا وكأنه أسير يداني منكبيه كتاف، وفي (ج٨، ص٣) في الحديث اغد عالماً أو متعلماً ولا تكن إمعة، وفي (معجم ما استعجم ج٢، ص ٥٦٥) بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى دومة وأمر عليهم عبدالرحمن بن عوف وعممه بيده وقال اغد باسم الله فجاهد في سبيل الله تقاتل من كفر بالله وأكثر من ذكر الله عسى الله أن يفتح على يديك فإن فتح فتزوج بنت ملكهم . **(٣٩) فية :** أي ظل، ويقال يتفيؤون أو يتظللون من الشمس . **(٤٠) قبعة :** أو غطاء الرأس المحكم . **(٤١) قدوم :** أي فأس، وفي " معجم البلدان " جاء عن اسم الفأس : (القدوم بالفتح وتخفيف الدال وواو ساكنة وميم وهو في لغة العرب الفأس التي ينحت بها الخشب وجمعها قدم[1]. **(٤٢) قصادك :** أي أمامك، أو قدامك. وينطقها الجرشيون وتقال للشخص الذي يبحث أو يسأل عن شيء وهو أمامه . **(٤٣) لك الله :** يمين، وهي يمين يحلف بها أهالي بالجرشي، وهي شائعة في السودان، وقد تكون منقولة مع بعض الأسر الجرشية التي عملت هناك . **(٤٤) لكان:** نعم، تأكيد لأمر حدث، ولازال ينطقها الجرشيون وتذكر حين يستفسر الشخص عن شيء مؤكد أنه سيعمله فحين تسأله يجيب (لا كان) ، وتستعمل في لبنان وسورية . **(٤٥) ما شي :** أي لا يوجد أي شيء . **(٤٦) متاع :** أي هذا متاع أو غرض فلان لا تأخذه، واشتقت منها كلمة الأمتعة أو الأغراض و (بتاع) الميم قلبت فيها باء . **(٤٧) المجرة :** أي خندق، وهي شق في الأرض يبدأ بمحاذاة رأس البئر ويتعمق حتى يصل إلى مترين، ويسهل للبقرة أو الثور الهبوط حاملاً المياه من قعر البئر بواسطة السواني، وفي (معجم البلدان ج٥، ص (٥٨) المجرة في اللغة بمنزلة الشيء الذي يجر به أو يجر فيه موضع . **(٤٨) المرزح:** أي عمود من الخشب الصلب جداً " العتم أو الزيتون البري " وينصب وسط الدار ليقوم أودها. وفي (لسان العرب ج٢، ص ٤٤٨) المرزحة الخشبية التي يرفع بها والمِرزح بالكسر الخشب يرفع به الكرم عن الأرض وفي التهذيب يرفع بها العنب إذا سقط بعضه على بعض . **(٤٩) مصراع :** أي جزئاً من الباب . وفي ("لسان العرب" ج٨، ص ١٩٩) مصراعا الباب بابان منصوبان ينضمان جميعاً، وفي (ج ١١/ ص ٢٩٦) المصراع أحد صفقي

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٣١٢ .

الباب . **(٥٠) المهل:** أول ناتج حرق الحطب في عملية استخراج القار. في لسان العرب ج١١، ص٦٤٤) المهل والمهل والمهلة صديد الميت . **(٥١) هاه،** أيوه أي نعم ويستعملها أبناء القبائل بالحجاز عند الإجابة على صوت ينادي من على بعد . **(٥٢) هبط أي:** ذهب إلى مكان منخفض عن المكان الذي خرج منه، وفي (مختار الصحاح، ج١، ص٢٨٧) هبط نزل وبابه جلس وهبطه أنزله وبابه ضرب يتعدى ويلزم يُقال اللهم غبطاً لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا . قلت هذا حديث نقله الأزهري، وأهبطه فانهبط وهبط ثمن السلعة أي نقص وهبطه غيره وأهبطه والهَبوط بالفتح الحدور . وفي (لسان العرب، ج٧، ص ٤٢٣) هبط القوم صاروا في هبوط . **(٥٣) هه:** بمعنى لم أسمع أو لم أفهم أو أعد الكلام، وهي كلمة عربية فصحى تستعمل في اليمن ويستعملها بعض القبائل في السراة وتهامة بالمملكة العربية السعودية عند عدم الفهم أو عندما يكون صوت المتحدث خافتاً، وكذلك عند سماع الخبر الذي لا يمكن تصديقه وهي منتشرة في معظم الأقطار العربية[1].

سابعا : خلاصة القول :

أشكر الباحث على دراسة هذا الموضوع الذي ربما يجعل بعض الباحثين يختلفون معه، ويعارضون قوله بأن سكان بلجرشي هم أساساً من مخلاف جرش في بلاد عسير. كما أنه جمع معلومات قيمة عن بلدة بلجرشي في العصر الحديث . ومازالت هذه الحاضرة تستحق المزيد من أبنائها وبخاصة في تاريخها الإداري، والاجتماعي، والاقتصادي، والفكري والتعليمي والثقافي منذ القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م)، فهو ميدان كبير ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث . وأرجو من مؤرخي محافظة بلجرشي، ومن أبناء منطقة الباحة أن يعكفوا على دراسة تاريخ بلادهم وحضارتها، فهي ذات عراقة تاريخية وتراثية وتستحق الخدمة والتفاني فيجمع موروثها ثم يحفظ ويوثق.

---

(١) هذه المفردات أو المصطلحات المذكورة نماذج قليلة من لهجات بلاد بلجرشي أو سروات منطقة الباحة، وأقول إن لهجات هذه البلاد من الموضوعات المهمة والجديدة ويجب بحثها ودراستها في بحوث علمية موثقة، وآمل من أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الباحة أن يخدموا هذا الموضوع بحثياً وعلمياً . (ابن جريس) .